

٧١
المجلد



ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الخامس – المجلد الحادي والسبعون

شوال ١٤٤٦ هـ – أبريل ٢٠٢٥ م

- بين موضوعية التعليم والمتعة التجارية (افتتاحية العدد)
- إسهام الإسلام في عهد العلم والحضارة المعاصرة
- رسل الله في خاتم كتبه السماوية
- ندوة العلماء : فكرتها وفعاليتها
- سورة التحريم : دلالاتها وما يستفاد منها
- دور الزكاة في معالجة مشكلة الفقر
- الالتفات في القرآن الكريم : سر الإعجاز البلاغي وجمال التحول البياني
- هوية اللغة العربية ودورها في وحدة الأمة الإسلامية
- أثر عموم البلوى في الحكم على أخبار الآحاد
- الأئمة بن سعد : شيخ الديار المصرية وإمام وقته بلا مدافعة
- الاتجاه المتنامي للكراهية مصدر الفساد في العالم

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب. ٩٣، لكاناؤ- الهند

If undelivered please return to:

Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,

Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.

Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاتته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما ساعد به من ثراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكاؤه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

● في الهند

أربع مائة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ثمانية مائة (بالبريد المسجل)	٨٠٠ / روبية
ثمان النسخة	٤٠ / روبية

● في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:

- ٧٥ دولاراً بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية
- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846

IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157

STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكاناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA

P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شعارنا التوحيد إلى الإسلام من جديد



البعث الإسلامي

April 2025

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أبريل ٢٠٢٥م

العدد الخامس – المجلد الحادي والسبعون – شوال ١٤٤٦هـ – أبريل ٢٠٢٥م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حياة نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغيير والتجدد، فيجب أن يتناول الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزداد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسن الندوي (رحمه الله)

المراسلات



مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب. ٩٣ لكاناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg,
Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

أنشأها

فقيه الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسن رحمه الله تعالى
في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد
بلال عبد الحى الحسن الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

محتويات العدد

العدد الخامس – المجلد الحادي والسبعون – شوال ١٤٤٦ هـ – أبريل ٢٠٢٥ م

٥	مدير تحرير المجلة	❖ أخي القارئ : لمثل هذا يذوب القلب من كمد
٦	سعيد الأعظمي الندوي	❖ الافتتاحية : بين موضوعية التعليم والمتعة التجارية
١٠	الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله	❖ التوجيه الإسلامي : إسهام الإسلام في عهد العلم والحضارة المعاصرة
١٤	الدكتور غريب جمعة	رسل الله في خاتم كتبه السماوية
٢٠	الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسيني الندوي	❖ الدعوة الإسلامية : ندوة العلماء : فكرتها وفعاليتها
٢٥	الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد	في ظلال الإسلام
٣١	الباحثة نصيرة إي . تي . بي	سورة التحريم : دلالاتها وما يستفاد منها
٤٠	د . يوسف محمد الندوي	النظافة في الحياة البشرية من خلال المصادر الإسلامية والدراسات الحديثة
٤٦	الأستاذ السيد أزهر حسين الندوي	❖ الفقه الإسلامي : دور الزكاة في معالجة مشكلة الفقر
٥٤	د . ثامنة فيصل	❖ دراسات وأبحاث : رحلة " الفوز العظيم " للشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني : دراسة تحليلية
٦١	د . فردوس مون . ك	الالتفات في القرآن الكريم : سر الإعجاز البلاغي وجمال التحول البياني
٦٥	الباحث صابر علي شيخ العمري	هوية اللغة العربية ودورها في وحدة الأمة الإسلامية
٧١	الأستاذ شعيب الحسيني الندوي	أثر عموم البلوى في الحكم على أخبار الأحاد
٨١	د . خالد خليفة السعد	❖ رجال من التاريخ : الليث بن سعد : شيخ الديار المصرية وإمام وقته بلا مدافعة
٨٨	الأخ عبد المنان بن عبد القادر	❖ بأقلام الشباب : الإخلاص وأثره في الحياة الإنسانية
٨٩	محمد فرمان الندوي	❖ صور وأوضاع : الاتجاه المتنامي للكراهية مصدر الفساد في العالم
٩٣	مدير التحرير	❖ إصدارات حديثة : ١ . مع القرآن الكريم : نظرات وتأملات للإمام السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي
٩٤	" " "	٢ . الإسلام في عيون الغرب للبروفيسور عبد الرحيم القدواثي
٩٦	" " "	٣ . العلامة الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي : الفقيه الأثمي ، والقاضي الحكيم
٩٨	" " "	٤ . المحدث محمد يونس الجونفوري وجهوده في الحديث وعلومه
١٠٠	قلم التحرير	❖ إلى رحمة الله تعالى : ١ . العالم الرياني الشيخ مصطفي الرفاعي الندوي إلى رحمة الله تعالى
١٠١	" " "	٢ . المحدث الشهير الشيخ أبو إسحاق الحويني في ذمة الله تعالى
١٠١	" " "	٣ . الأستاذ عبد الله الندوي الغورخفوري إلى رحمة الله تعالى
١٠٢	" " "	٤ . والد الأخ العزيز محمد نقيس خان الندوي إلى رحمة الله تعالى

لمثل هذا يذوب القلب من كمد

لم يشهد التاريخ الإنساني الممتد منذ سيدنا آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ، شعبا أشد ضرواة وهمجية ، وأخس وأذل مكانة من اليهود الصهاينة ، فهؤلاء شذاذ الأفاق ، وحُثالة العالم ، وإخوان القردة والخنازير ، قد تمسكوا بحبل من الناس ، فيعيشون في الأرض فسادا ، يقتلون الرجال والنساء ، والأطفال والشباب ، والشيوخ والعجائز ، حتى المرضى والمعاقين في المنازل والمستشفيات ، ليس هذا منذ طوفان الأقصي فقط ، بل منذ أكثر من سبعة عقود باستمرار ، فمسرى الرسول صلى الله عليه وسلم يمر بحالة عصبية ، ومرحلة مأساوية تمزق القلوب والنفوس ، وتجرح المشاعر والعواطف ، وتقتض المضاجع ، وتورق الأكباد :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد

إن كان في القلب إسلام وإيمان

الحرب التي بدأت بين حماس والاحتلال الإسرائيلي منذ السابع من شهر أكتوبر عام ألفين وثلاث وعشرين من الميلاد قد توقفت لفترة ، وقامت هناك موثيق وعهود بين الطرفين ، وجرى تبادل الأسرى من كلا الجانبين ، لكن الذي بيكينا دماء ودموعا أن إسرائيل قد نقضت العهود علنا وجهارا ، ونبذت البتود والاتفاقيات لوقف الحرب وراءها ظهريا ، وأغارت إغارة شعواء على غزة الصبر والصمود من جديد ، وقت صلاة الفجر ، فاستشهد أربع مائة شهيد ، وجرح أمثال أو أكثر من ذلك ، وفاق هذا العدد سبع مائة في ثلاثة أيام ، ولا شك أنها مجزرة جماعية ، وسلخ بشري ، وإبادة كاملة لسكان هذه المنطقة ، ولكن نحن المسلمين في العالم كله على يقين أن هذا إهمال وإملاء واستدراج من الله .

هؤلاء الجزارون الوحشيون ، وهؤلاء الاحترابيون والدمويون قد جبلوا على امتصاص دماء الأبرياء ، وقد فطروا على معاداة المسلمين منذ ولادتهم ، وقد قتلوا محسنينهم وأولي أمرهم وأنبياءهم من قبل ، فلا قيمة لديهم للاتفاقيات والقرارات ، ولا اعتبار لأقوالهم وأحاديثهم ، وقد نقضوا العهود عشرات المرات ، وقد عاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم حينما قدم المدينة ، وفي مناسبات شتى ، فخرقوا هذه الموثيق بين عشية وضحاها ، وظلوا عملاء وسماسرة للمشركين والكافرين ، ومن سوء مكرهم وحيلتهم في التاريخ أنهم قتلوا شر تقتيل ، تارة بيد بخت نصر ، وأخرى بيد الملك الرومي ، وثالثة بيد هتلر ، وأخيرا سيصلون عاقبتهم ومصيرهم بإذن الله بأيدي الطائفة المنصورة ، المرابطة في حدود الأرض المقدسة . وقد صدق الله تعالى في القرآن الكريم : (وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) [الإسراء : ٨] .

مدير تحرير المجلة
٢١ / رمضان ١٤٤٦ هـ

بين موضوعية التعليم والمتعة التجارية

أليس من سعادة الإنسان أن يعيش اهتمامات ذات أهداف غالية ، نحو ما يرفع مستوى الفكر الإنساني عن طريق التعليم والتربية ، فقد أجمع فلاسفة العالم على أن أفضل مهنة يمارسها الإنسان في مجالات الحياة الواسعة المترامية الأطراف ، إنما هي مهنة التعليم والتربية ، ذلك أن الإنسان لا يطلع على وظيفته ومنصبه ودوره في هذا العالم ما لم يكن له نصيب من العلوم والمعارف ، ونظرة في تاريخ الحضارات الإنسانية والتجارب البشرية .

لقد مضى في المجتمعات البشرية عبر العصور والأجيال رجال أكرمهم الله سبحانه وتعالى بنظرة ثاقبة ، وهمة عالية ، في مجال التعليم والتربية ، وركزوا كل مواهبهم وطاقاتهم في بناء الإنسان عن طريق نشر العلم والتعليم ، وبالتالي بناء العالم بواسطة أولي العلم والثقافة والتربية والخبرة ، على أسس حكيمة من الموضوعية وسمو الهدف ، والسلوك الرفيع ، مع التحلي بالعلم والمعرفة ، لذلك فإن التاريخ القديم يشهد باشتغال فئة من الناس بالبحث عن الحياة السعيدة عن طريق العلوم والمعارف ، وتأسيس فلسفة للحضارة والاجتماع ، من غير أن تبحث عما إذا كانت هذه الجهود قد حظيت بالنجاح أو بآلت بالفشل لأسباب يطول بذكرها الوصف ، إلا أن نظرة الإسلام نحو العلم والتعليم والتربية واسعة شاملة ، وهي ترفع قيمة الإنسان العالم المؤمن الذي يسعد بالإيمان والعقيدة عن علم واقتناع ، كما قد شهد بذلك كتاب الله عز وجل الذي يقول : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة : 11] ،

وقد عظم الله مكانة العلماء على غيرهم ، فقال : (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر : ٩] .

لولا أن الإسلام قد رفع هذه المكانة ، وحذب عليها ، وأشاد بها لما عرف العالم هذه الأهمية الموضوعية ، بشأن العلم والعلماء ، والعلم هو أساس كل صلاح وفضيلة ، وأساس كل حضارة ومدنية ، وإن العالم الذي عُرف اليوم بالتقدم الحضاري الهائل لم يتم له ذلك إلا بالعلم والمعرفة ، وبالبحث عن جوانبهما التي جعلت الإنسان المعاصر يقدر على تفجير طاقات الكون وإيجاد الوسائل البريئة لخدمة الحياة والإنسان .

هناك طائفة من المسلمين تزعم أن الاشتغال بالتعليم الإسلامي والاهتمام بالتربية الدينية يحولان دون كسب المعاش ، ويعوقان الطريق نحو عيش رغيد ، وهناء بال ، لكن الواقع ليس كما تزعم هذه الطائفة ، وإنما العلم أساس الكون والحياة والإنسان ، والعلم مهما كان هو أول هدية سماوية ، شرف الله بها الإنسان ، وجعلها زينة الحياة الدنيا ، وجائزة الحياه الآخرة ، ومن ثم كانت حاجة العالم البشري إلى أن يركز جميع قواه وإمكانياته على البحث عن منابع العلوم والمعارف ، ويتأكد أن الله سبحانه لم يخلق الإنسان عبثاً ، ولم يمهل سدىً ، بل أكرم عليه بأن يعرف غاية الحياة والهدف الذي أراد الله سبحانه من خلقه ، وصرح به في كتابه بغاية من الوضوح والبيان بصيغة الحصر : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) [الذاريات : ٥٦ - ٥٨] ، ومن لا يدري أن غاية العبادة لا تتحقق بدون تعليم وتعلم ، وبذلك تبين أن طبيعة العبادة لله تعالى وطبيعة البشر في هذا العالم واحدة ليس بينهما فرق أو تغاير ، وقد عبر عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفطرة ، فقال : كل مولود يولد

على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (صحيح البخاري عن أبي هريرة ، رقم الحديث : ١٣٨٥) ، ولا يتم هذا الواقع المغاير لفطرة الإنسان إلا بالتعليم والتربية ، التي يتلقاها المولود من أبويه ويصطبغ بصبغتها .

ومن هنا نستطيع أن نتأكد أن التعليم الإسلامي الذي وضع قواعده الإسلام في ضوء كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إنما هو الأساس الأول والأصيل لبناء الإنسان ، ذي الفطرة السليمة ، وذلك هو الطريق نحو سعادة البشرية ، وترسيخ جذور الإيمان والأمن والسلام في العالم كله ، بهذا التعليم نستطيع أن نقود العالم ، ونصلح اعوجاجها ، ونسدّد خطاها ، وهو الذي أرسل به الأنبياء والرسل ، فكانوا مطلعين على غاية التعليم والتربية التي أكرموا بها ، وإن ما نشاهده اليوم من الفساد في الأرض ، وما نعانيه من الأمراض المعضلة ، ومن الانسياق إلى محاربة الأخلاق الجميلة ، ودحض الحقائق ، وحوادث القتل والفتك والانتحار ، كل ذلك للحيد عن طريق الفطرة وطبيعة الخلق والأمر ، والاعتماد على العقل المادي والأيدلوجيات الجديدة التي تبعث صاحبها على أخذ كل وسيلة واختيار كل طريق يتكفل له بسعادة الدنيا ، سواء عن واسطة العلوم والمعارف ، التي لا تغني عن معرفة مَنْ خلق هذا الكون الهائل العظيم ، أو بغيرها من الصناعات والإبداعات لمجرد العيش في الحضارات المادية في غلبة وهناء وقوة ، وسعادة متخيلة لا علاقة لها بالواقع العملي في حال ما ، فانحرف التعليم في هذا العالم عن غايته النبيلة ، وأصبح متعةً تجاريةً أو ربحاً مادياً ، يتنافس الناس خاصتهم وعامتهم ، وصغارهم وكبارهم ، ورجالهم ونساءهم في كسبه والحصول عليه ، قال تعالى : (بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ، بَلْ هُمْ

مَنْهَا عَمُونَ ([النمل : ٦٦] .

إن عالمنا البشري يعيش قصوراً شامخةً متخيلةً ، ويطير الإنسان الحضاري الحديث في أجواء اصطناعية وأحلام حلوة لذيدة ، فلا يجتني من كل ذلك إلا ألواناً وأنواعاً من التعب والشقاء ، والأمراض القلبية ، والنفسية ، رغم أن معظم أفراد هذا العالم البشري يعتبرون مثقفين بالثقافات المنوعة ، المادية الحضارية ، ومن هؤلاء من يشغل أحياناً مناصب سياسية جليلاً من الحكام والوزراء ، والرؤساء لكبرى الحكومات العالمية والدول التابعة لها ، ولكنهم لا يقدرّون على التوصل إلى حلول للمشكلات والقضايا التي يجتاز بها إنسان العالم الحديث ، بل الواقع أن هذا الإنسان يصاب باليأس ، ويتمنى النجاة من قيود الحياة والمجتمع ، وذلك بالفرار من المسؤولية الإنسانية .

ومن هنا نستطيع أن نعرف قيمة العلم والمعرفة وطريق اكتسابه من خلال المنهج الذي شرعه الإسلام ، حتى نجتمع بين بناء الإنسان والعالم البشري ، على أسس ثابتة من العلوم والمعارف التي تدين بالإسلام وقواعد التربية والتعليم ، التي رفعها رسول الأنام خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم بأمر قائم دائم من الله تبارك وتعالى إلى يوم الدين ، وقد صرّح بذلك كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم ، فقال : (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) [التوبة : ١٢٢] .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٤٦/٩/١٩ هـ

٢٠٢٥/٣/٢٠ م

إسهام الإسلام في عهد العلم والحضارة المعاصرة

الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله

رقي أوروبا مدين بالإسلام :

يقول رابرت بريفارت (Robert Briffault) في كتابه : (The Making of Humanity) " ليس هناك جانب من رقي أوروبا إلا وعليه منة المدنية الإسلامية ، وطابعها العميق " .
وأضاف قائلاً : " ليست العلوم الطبيعية وحدها (التي لا تتكرر منة الإسلام عليها) مسؤولة عن حياة أوروبا الجديدة ، ووجود روح جديدة فيها ، بل خلفت المدنية الإسلامية أثرا عميقة على حياة أوروبا ، ويبدأ ذلك العهد من العهد الذي بدأت فيه الأشعة الأولى للمدنية الإسلامية والحضارة الإسلامية .

يقال كثيراً : إن النشأة الثانية لأوروبا هي ثمرة لإحياء الفكر اليوناني ، لكن المؤرخ الشهير (H.G. Vells) يرفض أن القوة والعلم قد حصل عليهما العالم عن طريق اليونان ، فيقول : إن العلم الذي كان بدأه اليونانيون ، ثم ودعوه ، وتخلوا عنه ، أقبل عليه العرب ، بحماس جديد ، وعاطفة جديدة ، وجعلوه موضوعاً لهم ، وتبنوه ، وقاموا بتهديبه ، وتثقيحه .

إذا كان اليونانيون مبتكرين للاكتشاف العلمي للحقيقة ، كان العرب مهذبين ؛ لأنهم قاموا بتسهيله ، وشرحوه شرحاً سائغاً ، وحلوه بألفاظ وكلمات موزونة وملائمة ، ونقد إيجابي ، إنهم كانوا العرب لا اللاتين ، الذين منحوا العالم الجديد هدية غالية ثمينة للعلم والقوة^١ .

تفوق المسلمين العلمي الماضي ودورهم الرائد في العلوم النافعة والتجريبية :

إنني أستطيع أن أدعي في ضوء دراستي للتاريخ أن المسلمين لم يقوموا بتأسيس دول واسعة كبيرة فحسب ، بل كانوا يمتازون أيضاً عن الأمم الأخرى بالعبارة بالعلوم والبراعة في الفنون ، وكانوا يتفوقون عليها

^١ The Making of Humanity P.٢٠٢ .

من كل جانب ، وقد أنجبت الأمة الإسلامية في جميع العصور نبغاء ذاع صيتهم ، وطبقت الآفاق شهرتهم في التعمق في الدراسة ، والرغبة في العلم ، والتأليف فيه بإخلاص .

وبرز في القرن الأول عدد كبير من أئمة الفكر من المسلمين ، بالإضافة إلى المفسرين ، والمحدثين ، والفقهاء الذين لا يوجد لهم نظير في التاريخ العلمي الإنساني ، كان لا يدانيهم أحد من علماء الأمم الأخرى . لم يحصر المسلمون دائرة علومهم في العلوم الدينية من التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأصول الفقه ، والدراسة المقارنة للأديان والمذاهب فحسب ، بل أبدوا براعتهم في علوم حديثة كثيرة ، وخدموها خدمة جليلة كالجغرافية ، والطبعية ، والهندسة ، والطب ، والكيمياء ، والتاريخ ، والنباتات ، والمدنية ، وقاد معظمهم العالم في هذه العلوم والفنون إلى قرون طويلة ، وخلفوا آثاراً ورسوماً لا تطمس أبداً .

نذكر هنا بعض هؤلاء العلماء المسلمين ؛ لأن استقصاء جهود جميع هؤلاء العلماء يحتاج إلى مجلدات ضخمة ، ويستغرق وقتاً طويلاً .

أئمة العلوم وواضعو العلوم من المسلمين :

الخوارزمي (م ٢٢٦/٨٥٠) ، هو أول من ألف كتاباً عن الجغرافية العالمية ، يليه محمد بن محمد الإدريسي (م ١١٥٣/٥٦٠) الذي بيّن في كتابه : " الممالك والمسالك " : الطرق التجارية للعالم الإسلامي مع عرض خريطتها الجغرافية .

ألف ابن الهيثم (م ٤٣١/١٠٩٣) حوالي مائتي كتاب ، سبعة وأربعون منها ألّفت حول موضوع العلم الرياضي ، وثمانية وخمسون عن الهندسة ، وهو أول من قدّم اقتراحاً لبناء سد أسوان ، واكتشف اكتشافات مفيدة في علم البصارة ، وعرض في كتابه " المناظر " : نظرية عن الإدراك البصري ، فقال : " إن البصارة تنحصر على الأشعة التي تعود بعد الاصطدام بها " .

محمد بن موسى الخوارزمي (م ٢٢٦/٨٥٠) هو أول من أضاف الصفر في العدد ، وقام بتعيين مكانة الأعداد ، وهو الذي اخترع الجبر . وكان البتاني (م ٣١٧/٩٢٩) الذي سماه الغرب بالبتيني (Albategni) أو الباطنيوس (Albatenus) كان بارعاً في الفلكيات ، وهو الذي قام بتقدير عوج الخسوف تقديراً صحيحاً ، وقام باكتشاف

مدة السنة الشمسية ، والفوارق في الموسم ، ومحور الشمس الأوسط ، ورفض اعتقاد بطليموس أن محور الشمس لا يتحرك .

أبو بكر محمد الرازي (م ٣١١/٩٣٧) الذي دعاه الغرب بـ ريزز (Rhazes) كان أكبر طبيب ، بالإضافة إلى أنه كان فيلسوفاً عظيماً ، وكيميائياً أريباً ، وقدم في كتابه الشهير " الحاوي " : استعراضاً للطب اليوناني ، والمصري ، والعربي القديم ، والهندي .

كانت لابن البيطار (م ٦٤٦/١٢٤٨) اليد الطولى في الأدوية في عصره ، وذكر في كتابيه " المغني في الأدوية و " الجامع لمفردات الأدوية " علامات للأمراض المختلفة ، وذكر أربع مائة من الحيوانات ، والنباتات والمعادن بإطناب وتفصيل من قبل نفسه ، أو على أساس مشاهدة ١٥٠ من البارعين .

أبو علي ابن سينا (م ٤٢٨/١٠٣٧) الذي عرفه الغرب بـ آوي سينا (Avicena) ألف على موضوع الفلسفة كتابه الشهير " النجاة " و " الشفاء " ، وعلى موضوع الطب كتابه : " القانون في الطب " ، وعلى علم النفس " أحوال النفس " ، وقد اشتهر بمائتين وواحد وثلاثين كتاباً ، ويقال : إن مائة وعشرة كتب أخرى تسبب إلى غيره هي من تأليفه ، وتقدر مكانته في الطب أن كتابه في الطب ظل كتاباً منقطع النظير مدة خمسة قرون ، أي : إلى أواخر القرن السابع عشر للميلاد ، وكان حجة في موضوعه .

ومن هؤلاء الأعلام ، أو نجوم العلم اللامعة ابن خلدون (م ٨٠٨/١٤٠٦) الذي كان أكبر عالم للعلوم الاجتماعية ، والذي لفت الانتباه إلى البحث عن القوانين التي توجه الإنسانية ، ولفت الاهتمام إلى العلوم الاجتماعية قبل الفيلسوف الغربي كومتي (Comte) بخمسين سنة .

ولم في هذه السلسلة العلمية اسم أبي ريحان البيروني (م ٤٤٣/١٠٥) لسعيه المشكور ، الذي كانت له اليد الطولى في الطبيعة وما بعد الطبيعة ، والأدوية ، والكيمياء ، والجغرافية ، والتاريخ ، بصفة خاصة ، وهو والعالم المسلم الآخر ابن الهيثم أساس البحوث العلمية لأوروبا المعاصرة .

كارثة علمية تاريخية :

قبل أن أنتهي من هذا البحث أريد أن ألفت نظركم إلى هذه الحقيقة الثابتة الأساسية ، ينبغي لنا ألا ينسى الإنسان أنه خليفة الله في

الأرض ، وليس بذاته مصدراً للعلم ومنبعاً له ، إنما هو خليفة الله في الأرض ، يعمل بما يرضيه ، ويمثل أوامره ، وينتهي عن نواهيه ، وذكر القرآن الكريم تعليم الأسماء لآدم - عليه السلام - بعد أن ذكر تمكنه في الأرض ، واستخلافه فيها ، وذلك يدل على أنه كان مأموراً باستخدام علمه كخليفة الله في الأرض .

كانت المأساة الكبرى لتاريخ العلم بل لتاريخ العالم أن نسي الإنسان أنه كان خليفةً لله ، وكانت مسؤولية العالم تقع على كاهله ، ولم يبعث إلى هذه الدنيا سيداً ومالكاً يستخدم خزائن الأرض داخلها وخارجها للمصلحة الذاتية والقومية ، والعنصرية ، والطبقية ، أو لإحراز التفوق السياسي .

كان يوماً سيئاً مشؤوماً اختار فيه الإنسان هذا الطريق المؤدي إلى الدمار والهلاك .

يستطيع هذا الشعور بأن الإنسان خليفة الله في الأرض ، ولم يكن خالقها ومالكها أن يسيره على الصراط المستقيم ، لأن المعرفة بهذه الحقيقة هي التي تستطيع أن تردعه من الحرية المطلقة .

انقطاع صلة العلم عن مالكه فتنة عظيمة في الحقيقة ، وقد نال الإنسان العلم وبرع فيه ، لكنه نسي خالق العلم .

أقول لكم بكل صراحة وأنا أعتذر إلى العلماء والقادة السياسيين في أوروبا وأمريكا ، وإلى كل من يفتخر بحضارة الغرب : أن الإنسان وقع في خطأ كبير عندما اعتبر نفسه مالكا أصيلاً للعلم ، ومستقلاً وحرًا ، لما نسي بداية أمره ؛ نسي غاية حياته ، وهدفها الحقيقي .

وأقول لكم بكل شعور بالمسؤولية : إن الإنسان لا ينجح في تغيير ظروف العالم وإصلاحها إذا لم يعترف بأنه مخلوق محض يقدم إلى خالقه ويسأل عن أعماله ، وعليه أن يعتقد بأنه يقوم على جانب علمه ، والله سبحانه وتعالى خالق العلم يقوم على جانبه الآخر .

فإذا انقطعت هذه الصلة ؛ نسي الإنسان هدف خلقه ، وتحولت الدنيا إلى ساحة قتال ، ومجزرة للإنسانية ، وتكون فيها سيطرة لإهانة الإنسانية ، وغلبة لأصناف الظلم والعبودية .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

رسل الله في خاتمه كتبه السماوية

(الحلقة الثانية)

بقلم : الدكتور غريب جمعة*

أشرنا في الحلقة السابقة إلى أننا سنذكر نبذاً عن بعض أمجاد أولي العزم من الرسل المباركة التي تفضل الله بها عليهم ، وقد شرفهم بالثناء على إخلاص عبوديتهم له جل جلاله ، فهم عباد الله البررة الأطهار ، المكرمون الأخيار في كل أدوار حياتهم .

(١) أول أولي العزم : نوح عليه الصلاة والسلام :

(١) جاء سيدنا نوح ، والبشر جلامد صماء عاتية ، مصفدون بأغلال تقاليدهم ، ومزهوون بأساطير معتقداتهم الوثنية المنحطة ، وأخلاقهم الشرسة القاسية ، فأخذ يدأب الليل والنهار ، وهو يدعوهم إلى الإيمان السماوي الصحيح ، ليخرجهم من غياهب الوثنية والشرك إلى مشارق أنوار الإيمان الساطعة ، وهو مشفق عليهم يخشى أن ينزل عليهم العذاب بسبب إعراضهم عنه وسخريتهم منه .

يقول تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الأعراف : ٥٩ - ٦٣] .

(٢) وإعراض قومه وإصرارهم على تقاليدهم الوثنية لم يحل دون استمراره في دعوتهم لينهض بعقليتهم إلى وعي حقائق الإيمان الصحيح والتغذي بها وهضمها وتمثلها في أعمال مجيدة سامية .

وحيث تنزاح عن نفسياتهم غشاوة التقاليد البالية ، ويفهمون أن نوحاً مرسل من الله إليهم ، لإصلاحهم وإسعادهم وتأنفهم حقاً وصدقاً ، فلا يستصغر أغنياؤهم فقراءهم ، وهم يحسبون أن الخير محصور فيهم

* جمهورية مصر العربية .

ولا يتجاوزهم إلى الفقراء ، ويرفضون أن يكونوا مثلهم ، ويفهمهم نوح عليه السلام أن كبرياءهم سوف تردبهم وأنه لا يستطيع مطلقاً أن يزدريهم ازدراءهم . وأن يمنعهم من الإيمان ، لأن ذلك هو الظلم بعينه . والله أعلم بنفوسهم من كل أحد ، وعقوبة طردهم من الله مخيفة ولا إفلات منها ولا نصرة .

وهو يعلنهم أنه ليس ملكاً ولا يملك خزائن الله ولا يعلم الغيب ، بل لا يريد أن يتفضل عليهم بالإيمان . يقول تعالى : (وَيَقَوْمٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ سَأَلُوا نُوحَ بْنَ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَدْعُرَهُمْ بِالنُّوحِ فَلْيَسِّرْ لَهُمْ أَنْ يُدْعَبُوا لِيُقَرَّبُوا لَهُ فَيَقُولُ هَذَا مَا بَدَأْتُ لِلنَّاسِ لِيُنسَبَ لِي فَيَكْفُرُوا بِهِمْ وَيُقَرَّبُوا لِي كَمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْ أَلِدُهُمْ فَلْيَجِئْنِي بِهَدْيٍ وَإِن يَأْتِيَنَّكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلٌ مِّنْهُمُ الْقُرْبَانَ فَأَنْسِمْ عَلَيْهِمْ وَانصُرْنَاهُمْ مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَأَنْصُرْنَا لَعَلَّ هُمْ يَفْقَهُونَ) [هود : ٣٠ - ٣١] .

(٣) ولاقى رسول الله نوح عليه السلام من الأهوال ما لاقى من ترصد وإيذاء وكراهية ، وكم حاولوا أن يبطشوا به ، لا لشيء إلا لأنه يريد إسعادهم وتصحيح عقليتهم وإيمانهم بالله خالقهم العظيم ، ولكنهم باءوا بالفشل واستجاب الله دعاءه ونجاه من شرهم وأغرقهم الطوفان .

يقول تعالى : (وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنبياء : ٧٦ - ٧٧] .

(٤) وجاء رسول الله نوح عليه السلام والبشر لا تزال تغشاهم مواريث العصر الغابي من قسوة في العواطف ، وتحجر في التفكير ، وخبث في الطباع وجمود في العقائد ، فأيمانهم كان مقتصراً على ما ورثوا من جهالات ، وكفرهم بحقائق وحي الله ، فكانوا يضعون أصابعهم في آذانهم ويغمضون أعينهم ويتجللون بشبابهم كلما دعاهم إلى حقائق الإيمان بوحي الله ، وها هو رسول الله نوح عليه السلام يستجير بالله مما لاقى ويلاقي منهم يقول تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا . فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا) [نوح : ٥ - ٧] .

وعُد إلى إكمال " سورة نوح " في القرآن المجيد ورقمها (٧١) كما رأيت . فإنك تفهم كم كانت تلاقي رسل الله من الصدود والسخرية بهم والأذى من الخلق !!! وهم لا يريدون لهم إلا الخير والهداية .

ونوح ككل رسل الله . ها أتت ذا تجده يلفت أنظار الخلق إلى جلال ما يكون الخالق في الوجود من الأكوان ، يقول تعالى : (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا . وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا . لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) [نوح : ١٢ - ٢٠] .

فلو كانت الأرض وهاداً سحيقةً وأطواداً شامخةً ولم تكن مبسوطَةً على عظم تكويرها ، لما استطاع الإنسان العيش على ظهرها والسير عليها من قارة إلى قارة .

وجزى الله رسوله نوحاً عليه السلام ، فقد نصح للبشر وأدى الرسالة ولكن البشر كانوا ظلمةً جبارين ، ضالين مضلين ، فما انتفعوا بوحى الله ولا نفعوا فأخذهم الطوفان وهم ظالمون .

(٢) ثاني أولي العزم : خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام :

سيدنا إبراهيم والد الأنبياء الساميين أبناء منطقتنا ، أرسله الله في عاصف مؤار من الشرك والوثنية ، وقد طفى على الكرة الأرضية طفيان طوفان نوح ، فكان لا بد من ركوب الأخطار ، وامتطاء الأهوال واقتحام الصعاب ، لتأخذ الدعوة إلى الإيمان الصحيح مجراها الصافي الدفاق . ولم لا يكون الأمر كذلك ، والأساطير والترهات تشرق بالشعوب وتغرب . والكهنة يعقدون لهم العقائد ويهلونها بمدهشات الألفاظ ، وخفايا الرموز والتواء الطقوس ، مما زينوا لهم من أنواع الآلهة ، كي يتسلطوا عليهم ، وينالوا منهم مآربهم . حتى الحكام الزمانيون دعوا لعبادتهم الجماهير ، ورأوا في ذلك كسباً لقلوبهم .

على أن عبادتهم في زعمهم أكرم وأروع وأفضل من عبادة الأبقار والأحجار والنيران والشمس والكواكب التي كانت تسود المجتمعات . والحق أن عبادة غير الله العظيم كفر ، وأن الإيمان هو خاص بعبادة الله الخالق العظيم .

أجل جاء سيدنا إبراهيم ولم يبق بين البشر من آثار وحي الله الذي جاء به نوح عليه السلام إلا ما يشبه العتمة بعد زوال الشفق الأحمر حين يأتي عليه سريان الليل ، وتغرقه أهازيعه في بحر الظلمات ، والكهان

يزينون لهم عبادة الآلهة التي اتخذوها لهم من شتى أفراد الكائنات باختراع الخوارق المدهشة ، وعب النزوات المغرية ، ويهولونها بتعقيد العقائد ، وتعمية مدلولاتها بمدهشات الألفاظ وخفايا الرموز والتواء الطقوس . لكي يسخروا الجماهير تسخير الدواب حتى ينالوا منهم وينيلوا من يرهبونهم من الرؤساء نزوات الشياطين .

(١) هذا ما حدا بالحكام الزمانيين إلى فرض تأليههم وعبادتهم على الجماهير . ورأوا في ذلك كسباً لقلوبهم وإذعاناً لهم ، بل رأوا تأليههم وعبادتهم أجدى وأفضل من عبادة الأحجار والأبقار والفيلة والنجوم والشموس والظلام والنور والنار ، وناهيك بما كان بين سيدنا إبراهيم والنمرود من جراء ذلك من مواقف جد حاسمة .

كن محرراً يقظاً واعياً مثل خليل الرحمن تفض بصحة الإيمان المنجى إن كنت ممن يرغب في صحة الإيمان المنجى . يقول تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [البقرة : ٢٥٨] . وسيدنا إبراهيم عليه السلام قد استطاع منذ أربعين قرناً أن يفهم العقل الإنساني طريق الإيمان اليقيني الصحيح . أفهمه إياه بالمشاهدة العيانية ، والنظر العلمي الدقيق ، والفكر المتحرك المنطلق .

وجعل أهله يستطيعون أن يعلموا يقيناً ، أن تأليه أي فرد من أفراد الكائنات . مهما كبر وعظم باطل في عين الواقع اليقيني المشاهد ، وقد مثل حالهم في أدوار التأليه المخترع حتى انتهى منه إلى إعلان حقيقة الإيمان العلمي اليقيني .

وكان كل ذلك مما أراه الله إياه في ملكوت السموات والأرض أفهمه له ليفهمه لقومه العميان الكبار . يقول تعالى : (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) [الأنعام : ١٧٥] .

أما تراه لما أظلم عليه الليل ، ورأى الكوكب يضيئ من جانب الأفق ، لفت نظر قومه إليه . وهو يقول مشيراً إليه " هذا ربي ! " وقصده أن ينقلهم من الآلهة المتخذة من كائنات الأرض إلى التفكير في ملكوت السموات الذي لا تعد الأرض بالنسبة له إلا ذرة هزيلة .

وبعد هذه النقلة ، انتظر إبراهيم عليه السلام حتى غاب الكوكب في مجراه في الأفق وبدا القمر بازغاً ساطعاً .

وهنا حركهم إلى نقلة ثانية ، بتفكير حر منطلق قادر على النقلة من الحسن إلى الأحسن . إذا تأكدوا ذلك . وبمثل هذا التحرك والانتقال يتم الوصول إلى الحقيقة الإيمانية الكبرى .

أجل ، إن الوصول إلى الحقيقة لن يتم إلا بذلك ، شرط أن يكون مع العزيمة والإرادة المصممة على التحرك والانتقال . أي بعد انكشاف الحق الصراح . وهذا ظاهر في نص الآية . وإلا ظل غارقاً إلى أذنيه في ضلاله . وكم في الاستعانة بالله إلى الهداية من توفيق عظيم .

يقول تعالى : (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) [الأنعام : ٧٧] .

إن حقيقة الإيمان اليقيني ، تتجسد بين أيديهم شاخصة إليهم ، إذا هم تحركوا إلى النقلة الثالثة . وفي هذه النقلة أعلن إبراهيم عليه السلام تبرأه من كل توجه وتآليه وعبادة واستعانة وضراعة لغير الله فاطر السموات والأرض رب العالمين ، تبرأً مخلصاً من كل شرك ووثنية . وإنما نجد في كل تحركاته العملية الدعوة المقصودة إلى الإيمان اليقيني الحق .

يقول تعالى : (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُعْمِدُ لِي بِرَبِّ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام : ٧٨ - ٧٩] .

يا لله ! كم نجد لسيدنا إبراهيم عليه السلام من إيمان عملي علمي يقيني مشاهد ، يحرك به العقول الجامدة الملتوية على أوثانها وأصنامها ، يحركها تحركاً نيراً هادياً بعمق النظر ودقة العمل وصدق النية وقوة البرهان الصارخ . الذي جعل الخصوم المعاندين المقلدين يثوبون إلى الواقع اليقيني المائل أمامهم . ولولا سطوة التقاليد الهوجاء المهيمنة على أنفسهم ، لثبتوا على الإيمان الحق الذي هداهم إليه إبراهيم عليه السلام ، ولم ينتكسوا شر انتكاس ، عامدين إلى أسلوب العاجزين ، أي إلى البطش به وإحراقه في النار ، ولكن أنى يتم لهم ذلك وهو من أولي العزم ولا بد من إتمام دعوته إلى الناس .

يقول تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ . قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ جُدَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ . قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ . قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ . فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ . ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ . قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ . أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) [الأنبياء : ٥١ - ٧٠] .

وهذا سيدنا إبراهيم يتغلغل في جزيرة العرب ، وينتقل بين قبائلها ويدعوهم إلى الإيمان بالله الخالق العظيم ، ويحطم الوثنية ويرجم الأصنام ، ويجدد بناء أول بيت عبادة ، شيد في الكرة الأرضية في جزيرة العرب في مكة المكرمة . ويدعو الناس إلى حجه والطواف حوله ومحاربة الوثنية والشرك وهجر عبادة الأصنام وتجنبها ، فكان بحق داعم الحنيفية السمحة في جزيرة العرب المقدسة . وقد ظل نسل ولده إسماعيل - الذين هم العرب المستعربة - يتكاثرون حتى كان منهم خاتم رسل الله محمد بن عبد الله صلوا الله وسلامه عليهم جميعاً .

يقول تعالى : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [البقرة : ١٢٧ - ١٢٩] .

(وإلى حلقة قادمة إن شاء الله)

ندوة العلماء فكرتها - وفعاليتها

بقلم : الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي

تعريب : محمد فرمان الندوي

[عقدت ندوة العلماء دورتها السنوية للعام الجاري في ٢٤ / شعبان ١٤٤٦ هـ ، المصادف ٢٣ / فبراير ٢٠٢٥ م يوم الأحد ، حضرها أعضاء الهيئة التنفيذية لندوة العلماء ، وقدم بهذه المناسبة رئيس ندوة العلماء الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي تقريراً سنوياً لها ، وهو يسلط ضوءاً كاشفاً على فكرة ندوة العلماء ودعوتها ونشاطاتها السنوية . وكان التقرير بالأردنية ، نقدم تعريبه تعميماً للنفع وإفادة للقراء . التحرير]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :
فيأيها السادة ! قبل كل شيء أشكركم على أنكم سافرتم للحضور في الدورة السنوية لندوة العلماء ، وتجشتم له المشاق ، فأدعو الله تعالى أن يجعل اجتماعنا هذا اجتماعاً مباركاً ، ويجزيكم جزاءً موفوراً .

منذ سنوات تمر ندوة العلماء بحوادث ومصائب فاجعة ، ولم تمض على وفاة رئيس ندوة العلماء الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي مدة عامين حتى حدثت وفاة الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي (الأمين العام لندوة العلماء) فجأة ، فلم تكن هذه الحادثة مؤلمة لندوة العلماء فحسب ، بل كانت خسارة عظيمة للأمة الإسلامية ، وإن ما قدم به من خدمات مخلصه في السنتين الماضيتين نحو ندوة العلماء لا يُنسى أبداً ، أضف إلى ذلك كتاباته العربية والأردنية التي تنفع الخاصة والعامة ،

ولا سيما افتتاحياته في صحيفة الرائد التي كانت تُقرأ بكل شوق ونهامة في العالم العربي ، وما أوتي من الله تعالى من موهبة خاصة للخطابة ، وكان يُلقى كلمته بإخلاص النية مفعماً بحرارة الإيمان ، ومتألماً من الأوضاع والظروف ، كل ذلك كان مصداقاً للمثل العربي : " كل ما صدر من القلب وصل إلى القلب ، وكل ما صدر من اللسان لا يجاوز الآذان " .

أيها السادة ! إن الأخطار والتحديات التي تحدق بالعالم الإسلامي ، وما تعانيه بلادنا من ظروف وأوضاع مبعث قلق واضطراب لأصحاب الفكر والبصيرة ، فتزداد في هذه الأحوال مسئوليات العلماء وواجبات المدارس الدينية ، إن ندوة العلماء حركة دينية إسلامية ، قامت بالتوجيه والإرشاد في كل فترة من الفترات منذ تأسيسها ، أما إمامنا وشيخنا السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي فإنه ذهب برسالة ندوة العلماء ودعوتها وفكرتها إلى العالم كله ، وقد رزق الله شيخنا رحمه الله دراسة إيمانية ، فكان يُدرك الأخطار قبل وقوعها ، ويختار لمواجهتها تدابير مناسبة بحكمته البالغة ، فإنه قاوم فتنة القومية العربية وأنشأ رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وقاد الأمة المسلمة في الهند قيادة رشيدة ، وأرسى قواعد حركة رسالة الإنسانية ، كل ذلك إنجازات جليلة في عهد رئاسته وفي ميزان حسناته .

فأوضاع الهند الراهنة تتطلب منا اتخاذ طرق مناسبة لصيانة الإيمان في جانب ، وفي جانب آخر تطالب إزالة أغلوطات وسوء التفاهم من أذهان أتباع الديانات الأخرى أمثال الهندوس والسيخ والمسيحيين وغيرهم ، وقد اقترح الإمام الندوي لصيانة الإيمان إنشاء مدارس عصرية إسلامية ، فنحمد الله تعالى على أن هذا الاقتراح لا يزال يتحقق على أرض الواقع ، كما تُقام كتاتيب دينية ودروس صباحية ومسائية تحقيقاً لهذه الغاية ، وتنظم محاضرات وخطب في مختلف أحياء مدينة لكاناؤ للشباب والفتيان ، بحيث أقيمت مراكز دينية ، حيث تجتمع فيها هذه الطبقة ، وتُلقى دروس القرآن ، والخطب الإصلاحية قبل الجمعة في مئات من المساجد ، تحت إشراف قسم الدعوة والإرشاد لندوة العلماء ، فالحاجة إلى أن تتوسع دوائر هذه الأعمال الدعوية والإصلاحية إلى كل ناحية من نواحي البلاد .

أيها الحفل الكريم ! هذه أمور أساسية دينية ، لكن اللافت للنظر أننا إذا أعرضنا عن أتباع الديانات الأخرى ، واكتفينا بأنفسنا ، ولم يفكر واحد منا في إزالة التساؤلات التي توجد في عقولهم لا يمكننا أن نصون أنفسنا من الأخطار التي تحلق فوق رؤوسنا ، فنكرر شكر الله تعالى وحمده على أن متخرجي ندوة العلماء يساهمون في هذه الناحية مساهمة فعالية ، وقد أنشئ لهذا العمل داخل البلاد أكثر من مائة وحدة ، وتظهر لها نتائج سارة ، لكن هذه الجهود الآن بمثابة الملح في الطعام ، فالأوضاع تتطلب إنجاز هذه الأعمال على أوسع نطاق .

أيها السادة ! أنتم قرأتم تاريخ البلدان والأقوام ، وأنتم على علم جم أن أتباع الديانات كلما تغاضى عنهم المسلمون في دولة أو مدينة اختل نظامها وسرى إليها الفساد ، وقد ذكر لنا أحد أعضاء ندوة العلماء المهندس عبد الرشيد الحيدرآبادي قصة مثيرة ومؤثرة ، أنه مرة قام بجولة دعوية في مناطق سمرقند وتاشقند ، فلقى فيها شيخاً ، ذكر له أننا كنا مطمئنين للغاية في هذه البلدان ، نظراً إلى أنها بلدان العلماء والفقهاء والمحدثين العظام ، ولا يدور بخلدنا أبداً أنها تواجه انقلاباً منقطع النظير ، لكن لما حدثت الثورة الحمراء الروسية أتذكر أنني خرجت مع زوجتي وبناتي خارج بيتي ، وكانت النار تحرق على مفترق الطرق ، فأحاطت الشرطة بنسائنا وقالوا لهن : انزعن عنكن الحجاب ، وإلا تكن حطباً لهذه النار ، إن زوجتي أبت نزع الحجاب ، فطرحت في النار ، فقلت لبناتي: انزعن الحجاب وارجعن إلى البيت ، وكان ذلك الشيخ يقول : هؤلاء البنات اضطررن إلى نزع الحجاب ، ورجعن إلى بيوتهن ، ولم يخرجن منها ، حتى فارقت الحياة ، فخرجت جنازتهن من البيوت ، ثم إن الشيخ ذكر لنا سبب ذلك قائلاً : كل ذلك كان نتيجة لعدم الاعتناء بأتباع الديانات الأخرى ، ثم قال : بلغوا رسالتي هذه إلى المسلمين في الهند : لا تزددوا أبداً أتباع الديانات ، بل عاملوهم معاملة الإخوة ، فالمسئولية الكبرى لنا في الهند بوجه أخص أن نزيل شبهات وتساؤلات الهندوس والمسيحيين وغيرهم ، وأقوى الطرق والمناهج تأثيراً منهج حركة رسالة الإنسانية .

أيها السادة ! نشطت ندوة العلماء طول السنة الدراسية بقوة وحماس

بالغين ، وانتهت نشاطاتها التعليمية التي تواصلها دار العلوم منذ شهر شوال ، في ١٧ / فبراير ٢٠٢٥م بالامتحانات السنوية ، وقد قدم طلاب دار العلوم نشاطات ثقافية وترفيهية ، فقاموا برحلة ثقافية إلى مدرسة فلاح المسلمين برائي بريلي ، وتحذوا خلال الرحلة باللغة العربية صباح مساء ليل نهار ، كما زار طلاب الاختصاصات من التفسير والحديث والفقه والتاريخ والدعوة والأدب العربي الأكاديميات العلمية ، والمجامع البحثية ، وكبرى المكتبات في الهند ، واطلعوا على جهود دار المصنفين بأعظم جراه ، ودار العلوم بديوبند ، وجامعة مظاهر العلوم بسهارنפור ، ومجمع المفتي إلهي بخش بكاندھله ، ومجامع وجامعات دهلي وجي فور ، وجامعة علي جراه ، ومؤسسة التحقيقات الإسلامية بعلي جراه (الهند) .

كما كانت هنا سلسلة المحاضرات والخطب العلمية ، التي ألقاها الباحثون والدكاترة والعلماء الأفاضل في البلاد أمام طلبة دار العلوم لندوة العلماء ، وكانت مساهمة الطلاب في تعلم اللغة العربية والإنجليزية خارج الصفوف التعليمية من مراكزها ملموسة .

وقد بلغ عدد فروع ندوة العلماء التعليمية إلى ٤٦٠ / في أرجاء الهند ، وهي مدارس ملحقة بندوة العلماء في مناهجها التعليمية ، ولا تزال تأتي طلبات الالتحاق ، وتوجد في هذه الفروع سبع مدارس إلى مرحلة العالمية ، ويعقد في السنة اجتماع لمستولي هؤلاء الفروع في ندوة العلماء حيث يجري التشاور والمذاكرة ، كما تُرسل وفود أساتذة دارالعلوم إلى هذه المدارس للاطلاع على نشاطاتها عن كثب ، وتقديم مشورات مناسبة لها ، ولكل من هذه المدارس نظام الكتاتيب ، كما توجد لندوة العلماء في داخل مدينة لكاناؤ ١٣ / كتاباً ، حيث يدرس فيها ١٥٠٣ / طالب ، من القرآن والأدعية المأثورة والعقائد الصحيحة والأخلاق الإسلامية ، وتوجد في المناطق الريفية ٢٠ / كتاباً .

يوجد في ندوة العلماء ثلاثة أقسام للفقه الإسلامي : (١) قسم دار الإفتاء ، حيث وجهت إلى هذا القسم أكثر من خمسين ألفاً من الأسئلة ، (٢) قسم دار القضاء ، وقد بلغ عدد أفضيته حتى الآن ١٢٨١ ، (٣) وقسم التدريب على القضاء والإفتاء ، ويدرس فيه عشرة طلاب كل عام ، كما تستمر الدراسة والتعليم في قسم الصحافة والألسنة ، وقسم اللغة الإنجليزية ، ويلتحق بها عشرة طلاب كذلك .

وهناك مؤسسة الصحافة والنشر لندوة العلماء ، وهي تصدر مجلات وصحفاً عربية أمثال البعث الإسلامي ، والرائد ، وتعمير حياة ، وسجا راھي ، وفرينكرنس آف إيست في أربع لغات : العربية والأردية والهندية والإنجليزية ، كما ينشر هذا القسم كتب المقررات التعليمية لندوة العلماء .

مجمع البحوث والدراسات الشرعية : هذا القسم يعقد ندوات فقهيةً ليومين كل عام ، ويساهم فيها كبار المفتين في البلاد ، كما يصدر هذا القسم مؤلفات فقهيةً قيمةً ، وتصدر منه كذلك مجلة فقهية في ثلاثة شهور ، وقد تم تحقيق كتاب " فتاوى عزيزي " للشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي ، تحت إشراف هذا المجمع .

معهد الدراسات العلمية : هذا المعهد يقوم بنشر بحوث ومقالات الاختصاصات من القرآن والحديث والفقه والأدب العربي ، وقد نشر هذا العام ثلاث مقالات : (١) الرشحات في الحروف المقطعات للأستاذ عمير خليفة الندوي .

(٢) تحقيق كتاب " شيم الحبيب في ذكر النبي الحبيب " للأستاذ محمد فاروق القاسمي الندوي . (٣) أضواء على حياة العلامة الندوي وجهوده في علم التفسير والحديث للأستاذ محمد عثمان ممتاز الندوي .

قسم التدريب العلمي : ينتخب لهذا القسم عشرة طلاب من مختلف الاختصاصات ، وتفوض إليهم أعمال بحثية ، وقد أنجز الطلاب هذا العام أعمالهم في الفترة المخصصة ، كما قام بعض الطلاب بتلخيص : موسوعة بيان الإسلام والرد على الافتراءات والشبهات (١١ مجلداً) في خمسة مجلدات .

أما المكتبة العامة لندوة العلماء ، وهي مكتبة العلامة شبلي النعماني فتوجد فيها ٢٢٩٣١٨ / كتاباً ، ما عدا المخطوطات ، والمكتبات الشخصية التي أهديت إلى مكتبة ندوة العلماء ، وتوجد بحمد الله في كليات وأروقة دار العلوم مكتبات ، يستفيد منها الطلاب .

أيها السادة ! هذه إطلالة على الفعاليات والنشاطات التي تقوم بها ندوة العلماء ، ويتعاون في مواصلة هذه المسيرة التعليمية كل فرد من أفراد ندوة العلماء ، وخاصة الأمين العام لندوة العلماء ورئيس الشئون التعليمية ، وأمين القسم المالي ، وسعادة المدير لدار العلوم ، ونائباه وغيرهم . تقبل الله جهودهم ، وجزاهم الله خيراً . وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

في ظلال الإسلام

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد*

الدعوة إلى الإسلام :

وواجب على المسلمين كافةً إبلاغ دعوة الله وبذل الجهد في ذلك ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) [المائدة : ٦٧] ، فتكليف النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ دعوته تكليفاً لأُمَّته ، وقد صرحت بذلك الآيات البيِّنات من كتاب الله تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف : ١٠٨] ، وقد دلت هذه الآية على أمور أن تكليف النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالة ربه ، تكليف لأُمَّته ، لا يتخلى عنه مؤمن ، ولا يتركه أمين ، وأن يكون الداعي على بصيرة من الأمور ، ومن يتخاذل عن الدعوة إلى الله تعالى وهو قادر عليها لا يعد تابعاً للنبي صلى الله عليه وسلم . وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بلغوا عني ولو آية " . وكل منا يعمل في مجاله بدقة وإتقان وإبتغاء لوجه الله وسيرى الله عمله ورسوله والمؤمنون ، قال تعالى : (وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [التوبة : ١٠٥] ، حيث تنص الآية الكريمة على أن هناك ثلاث جهات تراقب من يعمل : الله سبحانه وتعالى ورقابته تتعكس فيما يسمى بالرقابة الذاتية ، والرسول صلى الله عليه وسلم ورقابته هي رقابة السلطة التنفيذية والتي يتولاها ولي الأمر في كل زمان ومكان ، والمؤمنون ورقابتهم هي رقابة الرأي العام والسلطات الشعبية سواء تمثلت في مجالس منتخبة أو أفراد عاديين ، والرقابة الذاتية هي خط الدفاع الأول ضد أي انحراف ، وبخصوص الرقابة الشعبية فنجد حرص الخلفاء الراشدين وبخاصة أبي بكر وعمر وعلي على دعوة جماهير الشعب إلى ممارسة هذا النوع من الرقابة على تصرفات الحكام فلم تخلو خطبهم من ذلك ، يقول عمر بن

* جمهورية مصر العربية .

الخطاب : رأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم وأمرته بالعدل أفضيت ما علي . فقالوا : نعم . قال : لا حتى انظر في عمله أعمل ما أمرته أم لا .
وليكن هدفنا الإصلاح :

فالهدف من كل رسالة وخاصة الرسائل السماوية هو إصلاح حال الناس ، قال تعالى : (إن أريد إلا الإصلاح ما أستطعت) (هود : ٨٨) ، وطرق الإصلاح تختلف من قوم ل قوم ، كما يختلف أسلوب المصلح من فرد لآخر ، والمصلحون هم شموع الأرض ، ومصايبها التي يهتدى بها ، وهم أملها بعد الله في تصحيح مسار البشر ، وإنقاذ الأرض قبل خرابها ، وهم قدر الله في مجاربة ومقاومة المفسدين ، وهم الذين يصطفاهم الله في الدنيا ويجمعهم معاً في الآخرة (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) [النحل : ١٢٢] . والإصلاح يشمل الأعمال والأقوال ، وعلى أي من الأعمال إلا الصالح منها ، ولا يقول من الأقوال إلا السديد منها ، وهو الذي يوافق الصواب والحق . والقرآن الكريم لا يذكر لفظ العمل إلا مضافاً إليه كلمة الصالح ، فلا يقبل الله إلا العمل الصالح ، ومن أراد قبول توبته فعليه بالعمل الصالح (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه) [المائدة : ٣٩] ، وأهل النار يريدون الخروج منها لكي يعملوا صالحاً ، قال تعالى في سورة فاطر ٣٧ : (وهم يضطربون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) ، كما قال تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) [فصلت : ٣٣] ، وقال عز وجل في سورة الأحزاب الآية ٧٠ : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) .

التقوى :

والأمر بالتقوى ليس في القول فقط ، ولكنه مصاحب للعديد من آيات الأوامر والنواهي في آيات القرآن الكريم ، بل كانت وصية عامة لنا ولن قبيلنا ، قال تعالى : (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) [النساء : ١٣١] ، أي وصينا الأولين والآخرين وأمرناكم بما أمرناهم به بتقوى الله تعالى . قال تعالى في سورة آل عمران الآية ١٠٢ : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، والتقوى هي الميزان الذي يوزن به المرء : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات : ١٣] ، ومن وصايا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لقادة جيوشه : أما بعد فإني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله ، فإن تقوى الله أفضل العدة وأقوى المكيدة في الحرب . وأصل التقوى مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينه وبينك ، فالمتقي هو الذي يقي نفسه ما يضرها ، وهو الذي

يتقي عذاب الله بطاعته ، إن التقوى هي الحارس القابع في أعماق النفس لضمان امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، فوق الضمانات المكفولة بالتشريع ذاته ، ومن ثم يجب أن تكون التقوى هي الجو الذي يسود جماعة المؤمنين في جميع أحوالها . كما أمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بالحياء ، وهو خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع التقصير في حق ذي الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : " لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء " ، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحياء من الإيمان " ، والحياء يحمل المرء على ألا يظهر منه ما يفر منه الذوق السليم ، وهذا أساس الائتلاف في المجتمعات ، قال صلى الله عليه وسلم : " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " ، وتحذيراً لمن تسول له نفسه الإساءة للآخرين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " افعل كما شئت كما تدين تُدان " أي كما تفعل تجزيء .

ضرورة تكتلنا في وحدة واحدة :

ومن الملاحظ أن أهم مبادئ الإسلام وهي الصلاة ، الصيام ، الحج ، الزكاة ، الصبر ، الجهاد ، تقوى الله ، ولاية المؤمنين ، إصلاح النفس ، ذكر الله ، طاعة الله ورسوله ، اجتناب ما نهى الله عنه ، أكل الحلال ، القصاص ، الآداب الاجتماعية ، المعاملات الاجتماعية ، الأحوال الشخصية ، جاءت كلها بصيغة الجمع لبيان أهمية جماعة المسلمين في أدائها ، فمن صيغ الجمع التي نزلت بها سور الأحكام ومن وجوب دعوة كل فرد إلى لزوم جماعة المسلمين ، وجب وجود قاعدة عريضة من المؤمنين ، تؤيد وتقوي دعائم المجتمع الإسلامي ، ولقد دعا الإسلام المسلمين إلى الوحدة ، ونهاهم عن التفرق والتشردم ، قال تعالى : (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران : ١٠٣] ، وقوله تعالى : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا) [آل عمران : ١٠٥] ، وقوله تعالى : (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [الأنفال : ٤٦] ، ومن الآيات والأحاديث التي تصف علاقة المسلم بالمسلم مهما باعدت بينهما الأوطان وناءت بينهم الديار بأنها علاقة أخوية ، قال تعالى : (إِيْمًا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات : ١٠] ، وقال عليه الصلاة والسلام : " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " البخاري . وهذه الأخوة التي تفوق أخوة الرحم والنسب والجنس والعرق ، وما تستلزم على المسلم تجاه أخيه المسلم من واجبات لا يمكن القيام بها خير قيام إلا في ظل وحدة المسلمين ، لم تعد

الوحدة بين المسلمين فريضةً شرعيةً فقط ، بل أصبحت ضرورةً حتميةً يحتمها علينا الواقع الذي نعيشه اليوم ، ونحن في أمس الحاجة إلى الوحدة أكثر من الأمس ، وكل يوم يمر تزداد حاجتنا إليها أكثر من سابقه .

الغرض من الابتلاء :

والابتلاء سنة من سنين الحياة في الأولين والآخرين ، قال تعالى : (أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [العنكبوت : ٢ - ٣] ، وقال تعالى : (وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء : ٢٥] ، والابتلاء بالشر مفهوم أمره ليكشف مدى احتمال المبتلى ومدى صبره على الضر ومدى ثقته في ربه ورجاء رحمته ، أما الابتلاء بالخير فهو أشد وطأة ، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر ، وإن كثيرين يصمدون أمام الابتلاء بالشر ، ولكن القلة القليلة هي التي تصمد أمام الابتلاء بالخير ، قال تعالى : (وَكُنْتُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) [البقرة : ١٥٥] ، روى الترمذي عن سعيد بن أبي وقاص قال : قلنا يا رسول الله ! أي الناس أشد بلاء ؟ قال : " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة " ، قال تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [البقرة : ٢١٤] ، أي أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ولما يصيبكم من الابتلاء ما أصاب الذين من قبلكم من فقر ومرض وخوف ورعب ، وزلزلوا بأنواع المخاوف حتى قال رسولهم والمؤمنون معه علي سبيل الاستعجال للنصر من الله تعالى متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب . وقال تعالى : (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) [آل عمران : ١٤٠] ، وإن كانت هذه الآية نزلت بعد ما أصاب المسلمين في غزوة أحد ، لكن الشاهد أنها عامة في كل المعارك على كل الجبهات ، فالقتلى والجرحى يكونون من الطرفين وإن اختلف عددهما ، والأيام دول ، يوم هزيمة وآخر نصر ، لا نصر مطلقا ولا هزيمة مطلقا ، وقال تعالى : (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) [النساء : ١٠٤] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياها " ، ورحمة الله وسعة كل شيء وفي لحظة الانتكاس التي

تمر بها الأمم والأفراد ، لا معين لها إلا الإلتجاء إلى الله ، وعدم القنوط من رحمته (وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) [الحجر : ٥٦] ، والقرآن الكريم به من السنن ما تخالف السنن الطبيعية التي اعتادها البشر في حياتهم ، مما تدفعنا لعدم اليأس نهائي ، وتبين لنا أن الفرج قريب جدا وأن مع العسر يسرا . ولنجعل الأمل في الله دائما وأبدا .

أعداء الإسلام :

فالعداوة التي يكنها أعداء الإسلام للمسلمين سواء كانت حرباً تبيد الأخضر واليابس ، يوجهون إلينا شتى أنواع أسلحتهم ، يفتكون بكل ما تصل إليه نيرانها ، لا يفرقون بين رجل أو امرأة ، أو بين طفل وعجوز ، أو بين إنسان وحيوان ، لا يبقون على بشر ولا على شجر ولا حتى على حجر ، يهدمون المباني السكنية على من فيها ، يجرفون الأراضي الزراعية ، ويقلعون ما بها من زرع ، وينسفون المصانع والمستشفيات والمحال التجارية ودور الإذاعة والتلفزيون ، ويدكون الموانئ والمطارات ، كما يفعل اليهود بشعب فلسطين ، وكما فعلت أمريكا بالمجاهدين في أفغانستان مصداقاً لقوله تعالى : (وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً) [النساء : ١٠٢] ، أو حرباً بالألسنة أو بالأيدي مصداقاً لقوله تعالى في سورة آل عمران الآية ١١٨ (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عُنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) ، ولقوله تعالى في سورة الممتحنة الآية ٢ : (إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) ، فعداوتهم لنا سببها ، عداوتهم لديننا الحنيف ، ولن تخرج حروبهم لنا عن كونها حرباً دينية لا يبتغون من ورائها إلا محو الإسلام وإبادة كل ما هو مسلم ، مصداقاً لقوله تعالى : (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا) [البقرة : ٢١٧] ، ولقوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٢٠ : (وَإِنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) ، وقوله تعالى : (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً) [النساء : ٨٩] ، وستستمر إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

نحتاج لرجال بمعنى الكلمة :

أخيراً فمنذ بدء الدعوة الإسلامية ، لم يكن يقدم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والانضمام إلى التجمع الإسلامي ، إلا كل من نذر نفسه لله ، وتهيأ لاحتمال الأذى والفتنة والجوع والغربة والعذاب والموت في أشنع الصور في بعض الأحيان ، وهذه النقطة يجب أن يعيها الغيورون على الدعوة الإسلامية ، فيجب إعداد أعداد أنفسهم لمثل هذه

المحن والمصاعب التي تعرض لها الجيل الأول من المسلمين ، فالإسلام يحتاج إلى طليعة على مستوى جيد من الإعداد والتكوين ، طليعة نذرت نفسها لهذا الدين ، طليعة راسخة العقيدة والإيمان ، ثابتة القلب والجنان ، طليعة سامية الخلق ، عميقة الإدراك ماضية العزيمة ، طليعة تعيش الإسلام بكل وجودها وتمنحه كل وجودها .

يقول سيد قطب : وانتصر (محمد بن عبد الله) يوم صنع أصحابه رضوان الله عليهم صوراً حية من إيمانه تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ، يوم صاغ كل منهم قرآناً حياً يدب على الأرض ، يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسماً للإسلام ، يراه الناس فيرون الإسلام . إن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً ، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلاً ، وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً ، ومن ثم جعل (محمد) هدفه أن يصنع رجالاً ، لا أن يلقي مواعظ ، وأن يبني أمة ، لا أن يقيم فلسفة . أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم ، وكان عمل (محمد) أن يحول الفكرة المجردة لشيء تلمسه الأيدي وتراه العيون . ولقد انتصر (محمد بن عبد الله) يوم صاغ من فكرة الإسلام شخصاً وحول إيمانهم بالإسلام عملاً ، وطبع من المصحف عشرات النسخ ثم مئات ثم آلاف ، لكن لم يطبعها بالمداد على صحائف من ورق ، إنما طبعتها بالنور على صحائف من القلوب ، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به (محمد بن عبد الله) من عند الله . سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائلاً : ما بال المسلمين قد اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر ؟ قال رضي الله عنه : لأن أبا بكر وعمر كانا وليين علي مثلي ، وأنا اليوم وال علي مثلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " ، وقال تعالى في سورة الأنعام آية ١٣٢ : (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) ، أي لكل عامل من طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها ، ويشبهه بها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وقال تعالى في سورة البقرة آية ١٤٨ : (وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَغْبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً) ، فلكل أمة من الأمم قبله أو جهة يتوجهون إليها حسية كانت أو معنوية ، فتسابقوا أنتم أيها المؤمنون إلى فعل الخيرات التي أمرتم بفعلها ، وسيجمعكم الله يوم القيامة من أي مكان كنتم فيه ليجازيكم على عملكم .

سورة التحريم : دلالاتها وما يستفاد منها

الباحثة نصيرة إي . تي . بي *

سورة التحريم هي سورة مدنية ، وهي من السور المفصلات ، آياتها ١٢ ، ونزلها بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة ، تسمى أيضاً بسورة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسورة لم تحرم^١ ، وسورة تحرم سورة النساء^٢ . وهذه هي آخر سورة من السور الثامنة والعشرين من القرآن الكريم . وهي السورة الخامسة بعد المائة في ترتيب نزول السور القرآنية ، والسورة السادسة والستون في ترتيبها في المصحف . وهي أيضاً السورة التي أنزلها الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم في آخر أيامه . والسبب في ذلك هو بعض الحوادث المتعلقة في هذه السورة مع زوجات النبي صلى الله عليه وسلم مثل زينب ومارية ، اللتين لم تتزوجا إلا مؤخراً . أول سورة من هذا الجزء سورة المجادلة تبدأ بموضوع النساء خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها ، وآخر سورة هذا الجزء ، سورة التحريم تنتهي بأمثلة النساء الصالحات والسيئات كامرأة فرعون ، وامرأة نوح وغيرها . يعني أن بداية هذا الجزء ونهايته يتعلقان بالمرأة . وكذلك السورة السابقة ، سورة الطلاق ، له موضوع يتعلق بالمرأة . تضمنت هذه السورة خمس نداءات : نداءان للرسول صلى الله عليه وسلم ، وللمؤمنين ، ونداء واحد للكافر مثل يا أيها النبي ، يا أيها الذين آمنوا ، يا أيها الذين كفروا .

سبب نزولها :

نزلت هذه السورة عتاباً من الله للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن حرم شيئاً أحل الله لإرضاء لأزواجه . ورغم اختلاف العلماء في سبب نزول سورة التحريم ، إلا أن هناك أمراً واحداً متفقون عليه ، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرم شيئاً ما أحل الله له من أجل مرضاة بعض

* باحثة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كانور .

^١ الطنطاوي ، التفسير الوسيط ، ص ٤٦٥ .

^٢ الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ،

١٩٨٤م ، ج ٢٨ ، ص ٣٤٣ .

زوجاته . هناك حادثتان في روايات مختلفة تتعلق بنزول هذه السورة في التفسير المختلفة مثل تفسير ابن كثير ، وتفسير القرطبي ، وتفسير البغوي ، وغيرها .

(١) الحادثة الأولى : أن قضية العسل هي سبب نزول هذه السورة .

منها : عن عائشة رضي الله عنها قالت : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش رضي الله عنها ، ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي فلتقل : إني أجد منك ريح مغافير ، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت ذلك له ، فقال : لا ، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلِنْ أَعُودَ لَهُ ، فنزلت : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) ، (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ) لعائشة وحفصة ، (وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا) لقوله : بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا^١ .

من المؤيدين لهذه الحادثة : أيدها ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ، والآلوسي في روح المعاني ، وابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير ، وغيرهم .
(٢) الحادثة الثانية : إنها نزلت في شأن جاريته مارية .

منها : كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة رضي الله عنها فزارت أباهما ، فلما رجعت أبصرت مارية في بيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في وجه حفصة الغيرة والكآبة ، قال لها : " لا تخبري عائشة ، ولك علي ألا أقربها أبداً ، فأخبرت حفصة وعائشة وكانتا متصافيتين ، فغضبت عائشة ولم تنزل بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى حلف ألا يقرب مارية ، فأنزل الله هذه السورة^٢ .

من المؤيدين لهذه الحادثة : أيدها المحلي والسيوطي في تفسير الجلالين ، ومجموعة من المؤلفين في تفسير المختصر ، والقاسمي في محاسن التأويل ، وغيرهم .

ومن الأصح في سبب نزول هذه السورة حادثة العسل ، وشربه عند زينب بنت جحش ، وحفصة وعائشة تظاهرا عليه . وقد رواه الإمام

^١ رواه البخاري ، صحيح البخاري ، المرجع السابق ، ر ٦٦٩١ ، ص ١٦٥٧ .

^٢ الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٣٣١ .

البخاري في صحيحه ، وكتب التفسير المختلفة .

عتاب من الله على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم :

بدأت هذه السورة أيضاً بعتاب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كما في سورة عبس : (عَبَسَ وَتَوَلَّى) [١] ، إنه عتاب لطيف وموجه وفعال للغاية . وبهذا يريد الله تعالى المزيد من إصلاح شخصيته . وليس المقصود من هذا العتاب لتقليل شأنه ، ولم يره مثل ذلك . وقبله النبي صلى الله عليه وسلم كأمر من الله تعالى وعاش حياة أكثر روعةً . وهنا يبين الله منهجه الناضج في الحياة الأسرية ، وفي أي أمر آخر عملياً . الإسلام هو طريقة عملية للحياة . والأفعال أكثر أهمية من الأقوال . ومن خلال هذه السورة يمكن فهم أن الأخطاء أمر طبيعي ، ومن المهم الإشارة إليها لتصحيحها وتحسينها . لذلك ، من خلال تصحيح أخطائنا وأخطاء أسرنا ، يجب علينا أيضاً أن نكون قدوة من خلال القدوة الأسرية الجيدة التي أظهرها النبي صلى الله عليه وسلم . إذا كنا جيدين ، يمكننا أن نجعل الآخرين جيدين . وهكذا يمكن بناء المجتمع الصالح . من كلام القرآن أن الإنسان خليفة الله في الأرض ، عليه أن يتولى تلك الخلافة .

والذي حدث هنا في النبي صلى الله عليه وسلم أنه حرم ما أحل الله له من أجل أزواجه . ويظهر كثير من الروايات أن هذا المنع هو مشكلة العسل أو مشكلة الجارية . وعلى كل حال ، فعل ذلك بسبب زوجاته . وقد أصلح الله خطاه بهذه الحادثة . وهنا لم يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الحلال حراماً . وسبب امتناعه عنه مع أنها حلال ، وشيء يحبه : عندما عاتبته إحدى زوجته لإرضائها في أمر جاريتها مارية ، أو لأن نساء الأخريات لم يعجبهن شربه العسل من زوجة واحدة ، فقالت إحداهن : إنني أشم منك رائحة مغاير . فنزلت هذه الآية . وما يمكننا أن نفهمه من هذا ، هو أننا نحب أن نستمتع بالأشياء الطيبة التي منحنا إياها الله تعالى . ولا يجوز لنا أن نمنعها لأية مصلحة مادية أخرى . وهو خارج عن الشريعة الإسلامية . ووفقاً للشريعة الإسلامية ، ينبغي للإنسان أن يعيش في الاستمتاع بما أحل الله ، والاجتناب عما حرم الله . دراسات الحياة النبوية ثمينة في هذا العصر حيث يفعل الناس أي شيء لإرضاء الآخرين . ورضا الله أعظم من أي شيء في الدنيا ، من قول الرسول صلى الله عليه

وسلم : من التمس رضا الله بسخط الناس ؛ رضي الله عنه ، وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله ، سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس^١ . أي لا تعارض شريعة الإسلام لأحد . يمكننا أن نحقق أي شيء آخر برضا الله . والله لا يريد إلا الخير لعباده . الله منقذنا . فأصلح الله الحل لتطهير نبيه صلى الله عليه وسلم من يمينه الخاطئي . وقد بين الله كفارة ذلك في الآيات من ٨٧ إلى ٨٩ من سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ . لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي ، أنه من حرم عمداً ما أحل الله من طعام شراب جارية زوجة ، وغيرها من الطيبات ، وجب عليه كفارة أيمانه . فكفارته هي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة .

هذا التحريم سبب لشرع حكم عام للجميع . ولم ينزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وحده . نزلت على كافة الناس إلى يوم القيامة . لقد اصطفى الله أفضل نبي يستحق أن يبلغ رسالات الله إلى الناس .

حفظ السر أمانة :

حفظ السر أمانة عظيمة وخلق حميدة ، وإفشاؤه خيانة الأمانة ، التي من علامة النفاق . والواجب على المسلم كتمان سر أخيه وعدم إفشائه ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَّفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ^٢ . وهو مهم جداً ، خاصة في الحياة الزوجية . ويقوي الروابط بين الزوجين . ومن واجب كلاهما الحفاظ على السر . هذا هو مفتاح النجاح في الحياة الأسرية . ولذلك شجعه الإسلام . ونتيجة لإفشاء الأسرار وعدم حفظه تحدث مفسد كثيرة في المجتمع ، وقطع العلاقة ،

^١ الألباني ، صحيح الترغيب والترهيب ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ج ٢ ، ر ٢٢٥٠ ، ص ٥٤٧ .

^٢ سليمان السجستاني ، صحيح سنن أبي داود ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، ج ١ ، ر ٤٨٦٨ ، ص ١٩٥ .

ومفروق بين الأحبة ، وغيرها . ومن ثم يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من إفشاء الأسرار .

وفي هذه السورة عاتب الله بعض زوجات النبي صلى الله عليه وسلم على إفشاء سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا هو السبب الرئيسي لنزوله . ومن أجل إرضاء زوجاته ، حرم النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند إحدى نساءه ما أحل الله له في شيء لا يعجبها بالقسم ألا يعود إليه أبداً . نزلت هذه الآية بعد إفشائها سر رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته الأخرى . فالله الذي يعلم السر والعلن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، وعرفها ببعض ما قالت ، وأعرض عن بعضه . من قوله الله تعالى : (وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) [سورة التحريم : ٣] ، فإن أهمية أمانة الحفاظ على السر أمر مهم جداً للرحلة الجيدة المقبلة في تلك الحياة الأسرية المقدسة . وهذه الأمانة هي درس لنا من خلال القرآن والحديث والسيرة النبوية . إن التربية الإيمانية الصحيحة ، مع الوعي بأن الله يراقب ، ضروري في حياتنا الأسرية .

عتاب من الله لنزوجتي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم :

بسبب زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم ، حرم النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم شيئاً يحبه ، مما أحل الله له . فلما كان عند إحداهما أخبرت الأخرى بهذه الحادثة المحرمة . وبعد هذه الحادثة عاتبتهما الله كما عاتب الله النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) [سورة التحريم : ٤] الرأي السائد في التفسيرات والأحاديث النبوية أن الزوجتين الكريمتين اللتين خاطبهما الله هما حفصة وعائشة رضي الله عنهما . وهنا يطلب الله من هاتين الزوجتين أن تتوبا لتطهير قلوبهما التي انحرفت عن الذنب . فإن تظاهرا عليه فإن أنصاره هم الله وجبريل والملائكة والمؤمنين . وهذه ليست إهانة للتقليل من شأنهما . بل هذا العتاب تحسين أخلاقهما . وطبقاً لروايات مختلفة ، بعد هذه الحادثة التي كشفت عنها حفصة رضي الله عنها لعائشة رضي الله عنها ، فقد اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم زوجته حفصة رضي الله عنها فترة من الزمن

من شدة وجده عليها . ثم راجعها بأمر الوحي لأنها هي الصوامة ، القوامة ، وزوجته في الجنة .

وبسبب الغيرة والغضب والتنافس بين الزوجات ، عندما حدث أقل شيء يعوق النبي صلى الله عليه وسلم هدد الله أن يبدلهن بزوجات خير منهن ، ويقول الله تعالى : (عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ فَاتَّاتَتْ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا) [سورة التحريم : ٥] . ويدرس بهذا العتاب عظمة حفظ السر ، ورفع مقام النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق الحياة الطيبة بمحبة ما يحب وبغض ما يكره ، وكسب إرادة الله والرسول صلى الله عليه وسلم . فإن تظاهرا عليه فإن أنصاره هم الله وجبريل والمؤمنين والملائكة .

مسؤولية حماية النفس وأسرته من جهنم :

ومع أن أحداث الآيات الأولى بأسرة النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أنها عامة لجميع المؤمنين إلى نهاية العالم . لأن الله يعلمنا كيفية تنمية الحياة الأسرية الجميلة من خلال مثال النبي صلى الله عليه وسلم وأسرته . إذا حدثت أخطاء بشرية بسيطة في أسرة النبي ذات النفوس المقدسة ، فعلى الآخرين أن يكونوا أكثر حذراً . ولهذا السبب يمس الله تعالى العقل البشري المتقلب من خلال القرآن وحياة النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا هو تنوع عرض القرآن وأسلوبه . ولذلك فإن الآية السادسة من هذه السورة مهمة جداً ، تتقل أهمية تطهير الأسرة المسلمة ، كما قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) . وهذا هو النداء الثاني في هذه السورة . ومن خلال هذه الآية يدعو الله تعالى جميع المؤمنين إلى أمر خطير ، وهو إنقاذ أنفسهم وأهليهم من النار . وهو فريضة خاصة على الأسرة ، ويحذرهم من أن يكونوا وقوداً في نار جهنم ، وأن يبتعدوا عن أسباب دخولها . وخرنة جهنم هم الملائكة الزبانية ، وهم الغلاظ الشداد ، ونزع الله من قلوبهم الرحمة ، ولا يطيعون إلا أمر الله . ويدعو الله الكافرين ويقول لهم يومئذ ، لن يتمكن العذر ، ويجزون بأعمالهم . أي ينبغي لنا أن ننجو في الدارين بطاعة ما أمر الله به ، وترك نواهيه ، والافتداء بالرسول الأعظم . ولهذا علينا أن نجهز أذهاننا . إن الرسول صلى

اللَّهُ عليه وسلم يقول : " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " ^١ . أي العمل مع القلب مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهَاجَرْتُهٗ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " ^٢ . (متفق عليه) ، قلب الإنسان متقلب . ومن مسؤوليته وأسرته أن يحافظ على ثبات العقل البشري في الدين الحنيف . لذلك ، من أجل الوصول إلى هذا النور السلمي ، يجب علينا أن نحاسب أنفسنا باستمرار ، ونستأصل الأشياء التي تعمل ضد إيماننا ، ونعزز الخير . **وَمِنْ أَقْوَى أَدْعِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ .** لأن قلوب بني آدم بين إصبعي الله يقليبها .

الدعوة إلى التوبة النصوح :

التوبة النصوح هي التوبة الصادقة إلى الله دون أهداف مادية . وإن الله يحب التوابين ، كما قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة : ٢٢٢] ، ويتقرب بها العبد إلى الله . ويدخله الجنة الخالدة حيث تجري الأنهار ويشرق النور . وهي تمحو الذنوب ، وتحولها إلى حسنات . ولكن الأفضل هو ترك الخطيئة . كما قلنا من قبل ، من الطبيعي أن يرتكب الإنسان الأخطاء ، ولكن من يستطيع التحكم في عقله منها يفوز . يمكن أن يرى في القرآن والحديث أن الإسلام يشجع على التوبة كثيرا . لأن التوبة ليست مجرد الندم ، بل التوبة الصادقة هي تنقية العقل من الخطأ والسيطرة على العقل حتى لا يعود إليه مرة أخرى . ولذلك ، حتى لا يصبح العبد حطبا في جهنم ، ينبغي للعبد أن يطهر نفسه وأسرته من أخطاء الماضي بالتوبة النصوح . وهذه هي الطريقة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم . وقد سبق بيان هذه الطريقة في الآيات الأولى من هذه السورة ، وكان هناك بسبب الأخطاء التي وقعت في أسرة النبي صلى الله عليه وسلم ، طلب الله من الزوجتين التوبة . إذن فإن التوبة دواء ناجع لتطهير القلب .

^١ رواه مسلم ، صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ١٩٩٨م ، ر ٣٣/٢٥٦٤ ، ص ١٠٣٥ .

^٢ رواه البخاري ، صحيح البخاري ، المرجع السابق ، ر ٦٩٥٤ ، ص ١٧٢٢ .

نماذج من النساء المؤمنات والكافرات :

وتنتهي السورة بمثال امرأتين كافرتين كامرأتي نوح ولوط ، وامرأتين مؤمنتين صالحتين كامرأة فرعون ومريم بنت عمران . وذلك لتكون عبرة وعظة للعالمين . ولهذا السبب وردت أمثلة للنساء المثاليات وغير المثاليات في هذه السورة التي تتناول قضايا الأسرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته . ويتعلم منها آل النبي وجميع المؤمنين العبرة . وإن أسلوب القرآن من خلال هذا النوع من التعليم سيزيد من تحسين قلب الإنسان .

لوط عليه السلام هو النبي الذي أرسل إلى سدوم . وكان من آل النبي إبراهيم عليه السلام ، وآمن معه . وكان يدعو ليلاً ونهاراً قومه الفجار إلى الإسلام ، ورغم كونه زوجاً نبياً إلا أن زوجته رفضت دعوته معهم ، كما أنها تعاونت مع الكفار في خيانتها ، فأهلكها الله معهم . ونبي الله نوح عاش عمراً طويلاً يدعو قومه ليلاً ونهاراً إلى دين الله ، وأولئك الذين رفضوا الاستماع إلى دعواته المتكررة ، وأصرروا على الإنكار ، ودمرهم الله بالطوفان . ومثل زوجة النبي لوط عليه السلام ، زوجته الكافرة التي خانته دين زوجها الصحيح ، ودمرها الله معهم ، كما قال الله تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) [سورة التحريم : ١٠] .

وبعد ذكر أمثلة زوجات كافرات للأنبياء الكرام ، تصف الآيتان الأخيرتان الزوجة المقدسة آسيا عليها السلام للطاغية فرعون ، والقديسة مريم عليها السلام أم النبي الكريم المسيح عيسى عليه السلام ، من قوله الله تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِلِينَ) [سورة التحريم : ١١ ، ١٢] .

آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون من بني إسرائيل . وهي مؤمنة راسخة ، لها مكانة عالية في الدنيا والآخرة . وبسبب إيمانها ، اضطهدت من قبل زوجها المستبد فرعون . وأنعم الله على آسيا عليها السلام زوجة فرعون المتكبر المارق أن تربي طفلاً اسمه النبي موسى عليه السلام ،

فحفظه الله في ظلها . وأدى ذلك إلى نجاحها وسعادتها في الآخرة . وآمنت
بإله موسى وهارون عليهما السلام . وصبرت حتى ماتت تحت تعذيب
فرعون القاسي الجائر . وحتى وقت مقتلها كان دعاؤها : " رَبِّ ابْنِ لِي
عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ " . مريم بنت عمران ، مريم العذراء أم المسيح عيسى
ابن مريم عليهما السلام وأخت موسى وهارون عليهما السلام . الطفل الذي
نذرت أمه العجوز الخدمة في بيت المقدس . وعلى الرغم من كونها فتاة ،
إلا أنها كانت قادرة على الخدمة فيه . وأصبح زوج خالتها نبي الله زكريا
عليه السلام رعايتها . وبنعمة الله ، أنها رزقت من الغيب في عالم السماء .
وهي شخصية عظيمة أحبت الله كثيرا . وعاشت عذراء ، متفرغة لعبادته .
بدون أب ، أهدى النبي الكريم عيسى عليه السلام إلى مريم عليها
السلام بأمر الله .

آسيا بنت مزاحم ومريم بنت عمران عليهما السلام قدوة عظيمة
للنساء المؤمنات بثبات إيمانهما . وهما من أفضل نساء الجنة . كما يظهر
في الحديث أنهما زوجتا النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة . فإذا كان
الأمر كذلك ، ففي الآية الخامسة من هذه السورة ، بسبب غيرة أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم ، ألم يهددهم الله باستبدالهن بزوجات أفضل
منهن مسلمات ومؤمنات وقانتات وتائبات وعابدات سائحات وثيبات
وأبكاراً ؟ ومن أوصاف الزوجات الصالحات يمكننا أن نعتبر من
الأبكار مريم عليها السلام ومن الثيبات آسيا عليها السلام .

ويوم لا ينفعه الإنسان أهله ولا ولده ولا ماله إلا عمله الصالح .
فمثلا زوجتا النبي نوح ولوط الكافرتان ، رغم أنهما كانتا زوجتي نبين
صالحين ، إلا أن ذلك لم ينجهما من عذاب جهنم . أهلكهما الله بسبب
كفرهما وخيانتهم . وكذلك زوج آسيا المؤمنة فرعون الذي كان يقول :
أنا الرب الأعلى ، لم ينفع له إيمانها في الآخرة . لقد أهلكه الله أيضاً
بإرسال العقوبة من الدنيا نفسها . ويتضح من هذه الأمثلة أن الأقارب
والأنساب لا تنفع شيئاً في الآخرة . وينبغي له أن يستمتع بثمار ما فعله .
وهذه الدنيا مزرعة الآخرة . يجب أن يكون هناك حصاد جيد . مثل مريم
وآسيا ، يجب أن يكون لدى المؤمنين إيمان راسخ . ومثل هذا الإيمان
يساعد الإنسان على مواجهة أي أزمة بالصبر ، والله تعالى يعينه وينجحه
في الدارين .

النظافة في الحياة البشرية

من خلال المصادر الإسلامية والدراسات الحديثة

(الحلقة الخامسة الأخيرة)

د . يوسف محمد الندوي*

نظافة البيئـة : نظافة الثياب :

تنظيف الثياب عنصر مهم للحياة الصحية ، لأن الملابس تكون دائماً ملتصقة بالجسم الذي يرتديه الإنسان ، إن كانت ملوثة وهي تؤثر في صحة الجسم أيضاً ، وتكون سبباً لدخول الميكروبات والعدوى إلى الجسم خارجاً وداخلياً . قال الله تعالى مخاطباً للرسول صلى الله عليه وسلم : (وَيَبَأْكَ فَطَهِّرْ)^١ أي طهر ثيابك من النجاسات والمستقذرات فإن المؤمن طاهر لا يليق منه أن يحمل الخبيث .

يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان المشركون ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات ، فأمره الله تعالى بأن يصون ثيابه عن النجاسات^٢ . إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحرص كثيراً على تنظيف الملابس ، مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من المسلمين ما كانت ثيابه نظيفة فاستاءه فقال لأصحابه : أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه ؟ نص الحديث كما يلي :

عن جابر رضي الله عنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال : أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة فقال : أما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه ؟^٣

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة من كان في

* الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي فرع كيرلا ، الأستاذ المساعد ، كلية الفنون والعلوم لدار الأيتام المسلمين بوايناد ، كيرلا ، الهند .

^١ سورة المدثر : ٤ .

^٢ تفسير الرازي : ١٦ / ١٣١ .

^٣ سنن أبو داود ، رقم الحديث : ٣٥٤٠ .

قلبه مثقال ذرة من كبر ؛ فقال له رجل يا رسول الله ! إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فهل هذا كبر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس^١ لا يقبل الله سبحانه وتعالى من المؤمن وضوءه ولا صلاته إذا كان ثوبه قذرا متنجسا ؛ قد أجمع الفقهاء على لزوم طهارة الثياب والمكان والجسم عند الصلاة وإذا صلى واحد لابس الثوب المتنجس أو في مكان متنجس أو حامل نجس اختيارا مع علمه بالنجاسة بطلت صلاته ، ويجب عليه أن يعيد الصلاة بثوب طاهر ، في مكان نظيف ، ببدن صاف .

نظافة الطعام :

ومن المعلوم أن الأمراض الموسمية وغيرها تنتشر عادة لعدم الاحتياط في نظافة الطعام والشراب ، فلا بد من الاعتناء بنظافة المأكولات والمشروبات لبناء الصحة في المجتمع ، قد اهتم القرآن والحديث بهذا الشأن اهتماما بالغا .

قال الله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)^٢ ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ)^٣ ، (كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)^٤ ، (كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى)^٥ .

هذه الآيات المذكورة كلها تقول للإنسان أن يأكل الطيبات من الطعام فقط ؛ أما العاملة الأساسية في الطيبات هي النظافة والصفاء .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم لغطاء الأنية ولا يتركها مكشوفة للأتربة والذباب والميكروبات ، حيث قال صلى الله عليه وسلم : عن جابر ابن عبد الله ، يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهبت ساعة من الليل فخلوهم ، وأغلقوا الأبواب ، واذكروا اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا ، وأوكوا قريبكم ، واذكروا اسم الله ،

^١ صحيح مسلم ، رقم الحديث : ١٣١ .

^٢ سورة الإسراء : ٧٠ .

^٣ سورة البقرة : ١٧٢ .

^٤ سورة البقرة : ٥٧ .

^٥ سورة طه : ٨١ .

وخمروا آنيتكم ، واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليه شيئاً ، وأطفئوا مصابيحكم^١ .

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أطفئوا المصباح واذكروا اسم الله وخمروا الآنية ولو أن تعرضوا عليها بعود ، واذكروا اسم الله^٢ .

عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : غطوا الإناء وأوكوا السقاء ، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء^٣ .

عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء ، وإذا بال أحدكم فلا يمسح ذكره بيمينه وإذا تمسح أحدكم فلا يمسح بيمينه^٤ .

نظافة مصادر المياه :

نهى الحديث النبوي بشدة عن تلويث مصادر المياه ؛ وحرّم التبول أو التبرز فيها واعتبر ذلك مجلبةً للعنة الله عز وجل ، قد جاء هناك أحاديث متنوعة عن تلويث مصادر المياه ، منها ما يلي :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد ، وفي الظل ، وفي طرق الناس^٥ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً : لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغسل فيه^٦ .

ومن المعروف أن الكثير من الأوبئة مثل الكوليرا والتيفود وشلل الأطفال والتهاب الكبد المعدي قد تنتقل بالماء وتعيش فيه . وإن البلهارسيا تنتقل إلى الماء عند التبول فيه ، وبعد أن تتطور في الماء تنتقل إلى من يستحم به أو يشرب منه ، أما الانكلتوما فإنها تخرج مع البراز وتعيش في الطين قرب الشاطئ إلى أن تصل إلى جسم السليم ، ولهذه الأسباب يعتبر

^١ الدعوات الكبير للبيهقي : ٢١/٢ .

^٢ المنتقى من عمل اليوم والليلة ، النسائي : ٢١/٢ .

^٣ صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٣٧٥٨ .

^٤ صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٥١٩٩ .

^٥ سنن أبو داود ، رقم الحديث : ٢٤ .

^٦ صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٢٣٢ .

فقهاء الإسلام أن الماء الذي يصيبه البول نجس ولا يجوز الوضوء به أو الاستحمام فيه أو الشرب منه ^١ .

نظافة البيت :

البيت مركز الأسرة وملجأها فلا بد أن يكون البيت نظيفاً لصحة أفرادها ولسلامتها العامة ، فقد اهتم القرآن الكريم والحديث النبوي بشأن نظافة البيوت اهتماماً بالغاً .

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) ^٢ .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود ^٣ .

يحث هذا الحديث النبوي بشأن نظافة البيت وما حولها بأبلغ صورة وأكمل هيئة ينبغي كنس المسكن أو غسله وما حوله ، إن نظافة الطرق العامة مسؤولية كل فرد في المجتمع ، لذلك يجب على كل أسرة أن تتظف أمام مسكنها ؛ ويجب عدم إلقاء القاذورات أمام المسكن وعدم البصق في الطريق ، إذا قام كل فرد بدوره في النظافة وجد إنسان نظيف ومسكن نظيف وطعام نظيف وشراب نظيف وشارع نظيف وبيئة نظيفة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من زحزح عن طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كتب الله له به حسنة ، ومن كتب له عنده حسنة دخل الله بها الجنة ^٤ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل ، فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر ، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار ^٥ .

^١ Kudumbavikchanakosham, p; ٢٣٤ manas foundation ,

perumpavoor

^٢ سورة البقرة : ٢٢٢ .

^٣ سنن الترمذي : ٢٧٢٣ .

^٤ مسند أحمد ، رقم الحديث : ٢٦٢٠٧ .

^٥ صحيح مسلم ، رقم الحديث : ١٦٧٥ .

نظافة الشوارع :

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)^١ ، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)^٢ ، (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)^٣ .

والأحاديث المذكورة في الأبواب السابقة داخلة في هذا الباب .
الطرق والشوارع أكثر الناس معاملة وإن لم تكن نظيفة تسبب ذلك لانتشار الأمراض والأسقام ، فلا بد لكل فرد من المجتمع مراعاة نظافة الطرق والشوارع .

من روائع تعاليم القرآن والسنة أنها تأمر الناس أن لا يظلموا أحداً ولا يظلموا ، (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)^٤ ، (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)^٥ ، (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)^٦ .

ومما لا شك ولا ريب أن إلقاء الزباله والقاذورات على الشوارع يضر المشاة بها ، فإلقاء بقية السيارة والأوراق والأكياس البلاستيكية المتروكة في الطرق والشوارع تشمل من الأنواع المضرة للصحة الإنسانية وللصحة العامة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم والجلوس في الطرقات ؛ قالوا يا رسول الله ! ما لنا بد من مجلسنا نتحدث فيها ؟ قال ، فإذا أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه . قالوا وما هو حقه ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^٧ .

نهى الحديث النبوي عن التبول والتبرز في الشوارع والطرقات العامتين وقد عدها الرسول صلى الله عليه وسلم مجلبة لعنة الناس حيث

١ سورة البقرة : ٢٢٢ .

٢ سورة البقرة : ١١ .

٣ سورة الأعراف : ٥٥ .

٤ سورة آل عمران : ٥٧ .

٥ سورة آل عمران : ١٤٠ .

٦ سورة الشورى : ٤٠ .

٧ صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٣٩٦٠ .

يقول : اتقوا الملاعين الثلاثة : البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل^١ ،
وجدران البيوت والدكاكين ومحطة الباص والقطار والمطار والحديقة
كلها في مقام الظل ؛ نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البصاق في
المسجد أيضا يدخل في هذا السبيل .

عن أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : التفل في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها^٢ .

إن كانت الأرض المقصودة في الحديث أرض المسجد وهي شاملة
على كل مكان يحشر فيها الناس من الطرق والشوارع ، لأن النبي صلى
الله عليه وسلم وصف الأرض مسجداً ، كما جاء في الحديث التالي :

عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت
بأربع جعلت الأرض لأمتي مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الناس كافة
ونصرت بالرعب من مسيرة شهر يسير بين يدي وأحلت لأمتي الغنائم^٣ .

عن حذيفة بن أسيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : من آذى
المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم^٤ .

الخاتمة :

في ختام هذا البحث ، يتضح أن النظافة في الإسلام ليست مجرد
أمر صحي ، بل هي عبادة وقيمة أخلاقية تتجذر في عمق التعاليم
الإسلامية . تبرز النصوص القرآنية والأحاديث النبوية أهمية النظافة
بجميع أشكالها ، وتحث الناس على الالتزام بها في كل جانب من جوانب
حياتهم . من خلال اتباع هذه التعاليم ، يمكن للمسلمين أن يحققوا توازناً
بين الصحة الجسدية والروحانية ، وأن يسهموا في بناء مجتمع نظيف
ومزدهر . إن استيعابنا لهذه القيم وتطبيقها يعزز من فهمنا العميق لرسالة
الإسلام ويجعلنا قادرين على العيش في تناغم مع أنفسنا ومع البيئة المحيطة
بنا . بذلنا المحاولة لعرض النواحي الصحية للنظافة الإسلامية التي يقدمها
كتاب العزيز الرحيم والسنة النبوية المطهرة ، إن للنظافة الإسلامية فوائد
كبيرة في حفظ صحة الإنسان وفي تنظيم حياته الفردية والعائلية
والاجتماعية حياة هنيئة سليمة ، ولله الذي هدانا إلى الدين القيم المستقيم .

^١ سنن ابن ماجه ، رقم الحديث : ٣٢٣ .

^٢ صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٨٥٧ .

^٣ مسند أحمد ، رقم الحديث : ٢١١٨٣ .

^٤ المعجم الكبير للطبراني ، رقم الحديث : ٢٩٧٩ .

دور الزكاة في معالجة مشكلة الفقر

بقلم : الأستاذ السيد أزهر حسين الندوي *

تمهيد :

الزكاة كان لها ولا يزال دور فاعل وكبير ، ومهمة ريادية في معالجة بعض المشكلات الاجتماعية التي يواجهها المجتمع الإنساني ، وقد تمثل هذا الدور في الآثار الاجتماعية المترتبة عليه ، وهي آثار إيجابية حسنة لا تقل أهمية ومكانة عن الآثار الاقتصادية ، فلا يوجد جانب من جوانب الحياة الاجتماعية أو مظهر من مظاهرها إلا وللزكاة علاقة به من قريب أو بعيد ، فلا غرو ولا عجب إذن أن تكون الآثار الاجتماعية للزكاة أكبر أثراً وأعظم أهمية من غيرها ، فيتمثل دور الزكاة في علاج مشكلة الفقر بطرق عديدة ، لأن علاج الفقر بعلاج سببه ، فأسباب الفقر متنوعة وكي تؤدي الزكاة دورها في محاربة الفقر ، لا بد أن يحدد السبب ، فعلاج الفقر الذي سببه البطالة غير علاج الفقر الذي سببه الأمية والجهالة والعجز عن العمل ، فنذكر هنا بعضاً منها :

دور الزكاة في القضاء على الفقر :

ومن دور الزكاة الأساسية الفعالة أنها تساهم في وقاية المجتمع كله من الحاجة والفقر ؛ لأن الفقر يولد الطبقية الاجتماعية المسببة للحسد والحقد والعداوة بين الناس ، فالزكاة تشارك في القضاء على الفقر ، وهذه هي المهمة الأولى للزكاة ، وهذا العلاج هو علاج جذري لا يعتمد على المسكنات الوقائية ، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر في بعض الأحيان هدفاً للزكاة غير ذلك ، " تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم " ^١ ، وذلك من خلال المساعدة في توفير الحاجات الأساسية للفقراء والمساكين والمشردين والمعوقين عبر تقديم الطيبات ورفع مستواهم الصحي والتعليمي والمعيشي ^٢ ، فعندما نعطي الفقير

* مسقط ، سلطنة عمان .

^١ ينظر : أبو صفية فخري خليل ، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية ، بحث محكم منشور في مجلة البحوث الاقتصادية المتقدمة بجامعة الشهيد ، ص ١٢٣ .

^٢ راجع : منصور ، سليم هاني ، الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٣١

والمسكين ونحرر العبيد ونساعد الذين أثقلتهم الديون وإقامة المرافق العامة ، كل هذا يؤدي إلى زيادة القوة الإنتاجية للمجتمع ، ويزداد الدخل القومي ، وسوف يؤدي هذا إلى ارتفاع مستوى دخول الأفراد جميعاً ، وبذلك ترتفع الكفاية الإنتاجية لكل منهم ، وترتفع مستويات الدخل ، ولنا في صدر الدولة الإسلامية الأدلة الواضحة الجلية على ذلك ، فعلى سبيل المثال : في عهد عمر بن عبد العزيز ارتقى مستوى المعيشة للأفراد لدرجة أنهم لم يجدوا فقيراً أو مسكيناً لإعطائه الزكاة^١ .

ومن المعلوم أن للفقر آثاراً اجتماعيةً ونفسيةً وسلوكيةً تحط من إنسانية الإنسان ، وتدفعه نحو الإحباط واليأس والعصية والجريمة أحياناً^٢ ، لذلك نجد أن الزكاة تقوم بالمشاركة في القضاء على هذه الظاهرة من خلال توفير الحاجات الأساسية للفقراء والمساكين والمشردين ، فالزكاة وسيلة فعالة للقضاء على الفقر حيث يتكرر دفعها كل عام لمن يستحقها ، ولها أثرها المهم في علاج الانكماش الاقتصادي ، وأثبتت التجارب أن أنجح أساليب معالجة الفقر هو تأهيل العاطلين عن العمل بتمكينهم من القيام بمشاريعهم الصغيرة والكبيرة^٣ ، وللفقر أثر كبير على الاقتصاد في البلدان ، فيؤدي إلى تراجع الاستثمارات وقلة العمل والإنتاج والقضاء على الأسواق بالكساد وقلة الطلب على السلع والمنتجات ، لأن الفقير لا يملك دخلاً ليستهلك هذه المنتجات ، كما قد يكون للفقر الكثير من الآثار الأخرى على المجتمعات بما في ذلك التراجع في مستويات التعليم وانتشار الجرائم والتعدي على أموال الآخرين بغير حق ، وتدني مستويات الرعاية الصحية وغيرها^٤ ، فيأتي هنا دور الزكاة في الحد من ظاهرة الفقر ، والقضاء عليها ، من خلال تقديم المعونات والمساعدات للفئات المحتاجة والمحرومة ، لتغطية احتياجاتهم والاستعانة بما يتم جمعه من

^١ ينظر : سحنون جمال الدين ، تفعيل شعيرة الزكاة لمقاومة الفقر وتحقيق العدالة الاجتماعية ، بحث محكم منشور في مجلة دفاثر البحوث العلمية ، ص ٧٥ .

^٢ راجع : مسعد ، محي محمد ، مشكلة الفقر ومواجهتها في عصر العولمة ، ط ١ ، (مصر : مؤسسة رؤية الإسكندرية ، ٢٠١٠م) ، ص ١٧ .

^٣ محمد حسيب الدين ، مكانة الزكاة في بناء المجتمع الإسلامي ، بحث محكم منشور ، ص ١١ .

^٤ ينظر : دور الزكاة في الحد من ظاهرة الفقر .

أموال الزكاة في توفير الأنشطة التدريبية والتأهيلية التي تساعد الأفراد الفقراء على إيجاد فرص العمل وتمكنهم من توفير الدخل الكافي لهم ولأسرتهم التي يعيلونها ، فمعالجة الزكاة للفقير تظهر جلياً من ناحية تطهير المجتمع من الترف والغنى الفاحش ، فالزكاة تمحو الفقر وما يثيره من فوارق في المجتمع واغتناء طبقة على حساب أخرى ، قال الله : (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأُولَىٰ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^١ .

فمحاربة الزكاة للترف لا تعني أن يقتصر الإنسان على نفسه ، وأن يعيش عيشة الشظف والشغف ، وإنما هو دعوة لسلوك طريق الوسط والاعتدال بإنفاق المال على النفس ، أما المال الزائد المعترض للترف فإن الفقراء أحوج ما يكون إليه ، فحين يمتنع الإنسان عن الترف يتصدق على الفقراء والمساكين^٢ .

وكذلك الزكاة تقوم أيضاً من تطهير المجتمع من رذيلة التسول ، فعندما تقدم الزكاة للفقراء والمساكين أموالاً زكوية ؛ لا تجعل لهم من ذلك مطية للقعود والخمول ومديد التسول للبشر ، إنما تحرك الهمة للعمل والكسب والكد ، وتعلم الناس أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، فالإنسان خلق كريماً وعزيزاً ، لذلك شرع الله الزكاة حفظاً لهذه الكرامة وصيانة للإنسانية ، وحتى لا يتذلل من حلت بهم الفاقة أو نزلت بهم الحاجة لذل السؤال وخزي الفقر^٣ .

إن شح الأغنياء والضعف بقسط مما في أيديهم على الفقراء والمحتاجين والمساكين كان مقويًا لظاهرة الفقر فيهم ، ومنمياً لها ، من أجل ذلك فرض الله تعالى الزكاة وجعلها حقاً في مال الغني تؤخذ منه كرهاً إن لم يدفعها طوعاً ، فإذا كان الفقر طريق الفجور والموبقات وبه هلاك الأمم

^١ الحشر : ٧ .

^٢ ينظر : محمد إبراهيم ، الزكاة ودورها في القضاء على الفقر ، بحث إلكتروني ، ص ٤٨ - ٤٩ .

^٣ ينظر : محمد إبراهيم ، الزكاة ودورها في القضاء على الفقر ، بحث إلكتروني ، ص ٤٨ - ٥١ .

والجماعات فإن الشح لا يقل عنه خطورةً ، وما اجتمعا في أمة إلا كان هلاكها بهما ، لذلك كان من الضروري كلما ذكر الفقر أن يذكر الشح والبخل إلى جانبه ، والإسلام لا يحارب الفقر فقط ، بل يحارب كل ما من شأنه أن يزيل صفة الإنسانية عن المسلم ، أو يزرع في نفسه حب الأنانية ، كالبخل فإنه شر ما بعده شر^١ ، قال سبحانه : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)^٢ .

يقول القرضاوي : " من معجزات هذا الدين ، ومن الدلائل على أنه من عند الله وعلى أنه الرسالة الخاتمة الخالدة ، أنه سبق الزمن وتخطى القرون ، فعني بعلاج مشكلة الفقر ورعاية الفقراء دون ثورة منهم ، ولا مطالبية من فرد أو من جماعة بحقوقهم ، ولم تكن عنايته هذه عناية سطحية ، أو عارضة أو ثانوية في تعاليمه وأحكامه ، بل كانت خاصة أسسه ، وصلب أصوله ، فلا عجب إن كانت الزكاة - التي ضمن الله بها حقوق الفقراء والمساكين في أموال الأمة وفي عنق الدولة - ثالثة دعائم الإسلام ، وأحد أركانه العظام ، وشعائره الكبرى ، وعباداته الأربع"^٣ . فالزكاة تسهم بفاعلية في معالجة الفقر وتحسين مستوى المعيشة ، وفي رعاية الفئات الأشد حاجة في المجتمع ، وتسد ثغرات عديدة ، فإذا توافر للإنسان الغذاء والكساء والمسكن ، والمياه الصالحة للشرب ، والرعاية الصحية والتعليم بأي طريق مباح ، عد ذلك دخلاً حقيقياً يمثل ارتفاعاً في مستوى المعيشة وهو ما يساهم فيه الزكاة بطريق مباشر أو غير مباشر^٤ .

ومن اللافت للنظر أن مصارف الزكاة في غالبها تنص على مساعدة الفقراء والمحتاجين ، بل إن هذا يعد ركناً أساسياً في الزكاة ، إلا أن المساعدات تكون بأشكال وأنواع مختلفة ، فمن ذلك توزيع

^١ ينظر : محمد إبراهيم ، الزكاة ودورها في القضاء على الفقر ، بحث إلكتروني ، ص ٤٨ - ٥١ .

^٢ آل عمران : ١٨٠ .

^٣ القرضاوي ، يوسف ، مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام ، ص ٧٨ - ٧٩ .

^٤ راجع : العثمان ، أحمد بن موسى ، الوقف الخيري صدقة جارية لبناء الوطن ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

المساعدات النقدية وأحياناً أخرى العينية كالأكل ، والملابس ، والأدوات المعيشية ، وبخاصة في أوقات الغلاء والأزمات المالية التي تمر بها الأمة ^١ .
دور الزكاة من التقليل من مشكلة البطالة :

من مقاصد الزكاة وأهدافها أنه يقلل من مشكلة البطالة التي توجد خاصة في المجتمعات الحديثة وتسبب بالفقر والعوز ؛ إذ تبدو شبهاً مخيفاً يهدد الأفراد والمؤسسات والدول بكثير من القلق النفسي والتدهور الاقتصادي ، والإفلاس على مستوى الفرد والجماعة ^٢ ، فالبطالة هي مشكلة اقتصادية واجتماعية وإنسانية ذات خطرٍ على الفرد اقتصادياً ؛ حيث يفقد الدخل ، وصحياً يفقد الحركة ، ونفسياً حيث يعيش في فراغ ، واجتماعياً حيث ينقم على المجتمع ، وهي كذلك خطر على الأسرة حيث تفقد الأسرة الأطمئنان ، ويسود القلق والتوتر والخوف من الغد المجهول ، وهي كذلك خطر على المجتمع بأسره ، خطر على اقتصاده لما تؤدي من تعطيل الطاقات عن الإنتاج ، وهي خطر على تماسكه ، وعلى أخلاقه لأن تربة الفراغ القلق لا تثبت إلا الشرور والجرائم ^٣ .

وأما عن دور الزكاة في محاربة البطالة وزيادة حجم العمالة فذلك من تحسين من نوعية قوة العمل في المجتمع في مختلف الميادين لما يوفره من فرص تعلم المهن والمهارات ، مما يرفع من الكفاءة المهنية والقدرات الإنتاجية للأيدي العاملة ، فالزكاة تؤمن وظائف للعديد من الأفراد ، وتؤمن بالتالي حاجات العديد من العائلات ، فتعدد الوظائف بسبب الأموال الزكوية ولجانها وإدارتها ، فالبطالة التي لا اختيار للإنسان فيها إنما تفرض عليه ، وقد يكون ذلك بسبب عدم تعلمه مهنة في الصغر ولا مسؤولية له في ذلك ، وقد يكون تعلم مهنة ثم كسد سوقها لتغير البيئة أو تطور الزمن ، وقد تكون بسبب عدم وجود مال لشراء أدوات وآلات مهنته وقد يكون تاجراً

^١ راجع : مصباح ، معتز محمد ، دور الوقف الخيري في التنمية الاقتصادية ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية غزة كلية التجارة ، ص ٤٦ .

^٢ راجع : السراخنة ، جمال حسن أحمد عيسى ، مشكلة البطالة وعلاجها دراسة مقارنة بين الفقه والقانون ، ط ١ ، (لبنان : اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص ٥ .

^٣ أبو صفية ، فخري خليل ، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية ، ص ١٣٤ .

ولكنه يفتقر إلى رأس المال ، وقد يكون من أهل الزراعة ، ولكنه لا يجد أدوات الحرث ، أو آلات الري أو الأرض ، أو رأس المال الكافي للزراعة ، وفي كل هذه الصور يأتي دور الزكاة وتتجلى وظيفتها ، إنه دور الممول لكل ذي تجارة أو حرفة يحتاج معها إلى مال لا يجده ، فوظيفة الزكاة تمكين الفقير من إغناء نفسه بنفسه ؛ بحيث يكون له مصدر دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة من غيره ، فإذا كانت عاداته الاحتراف أعطي ما يشتري به حرفته أو آلات حرفته ، ومن حرفته يبيع الجوهر يعطى عشرة آلاف درهم ، وإذا كان من أهل المزارع يعطى ما يشتري به ضيعته^١ ، فالمسجد مثلاً يحتاج إلى قراء ومؤذن وخدام للمسجد وعامل نظافة وخطيب ، وإمام ، ومدرس ، والأمير يكبر بالنسبة للمؤسسات التعليمية أو الصحية ، فيؤمن رزقاً حلالاً طيباً للباحثين عن العمل ، ويتحقق بذلك الدور للزكاة في الاستقرار الاجتماعي وعدم شيوع روح التدمير في المجتمع^٢ ، بل بهذه الطريقة تسهم الزكاة في عملية التنمية الاجتماعية الشاملة ؛ لما فيها من شيوع جو من المحبة والتفاهم والتكاتف لإحساس الفرد المحتاج أن هناك من يهتم به ويأخذه بيده ، وقد تمكن نظام الزكاة من بسط مبدأ التضامن الاجتماعي وشيوع روح التراحم والتوادر بين أفراد المجتمع ، وحمايته من الأمراض الاجتماعية التي تنشأ عادة في المجتمعات التي تسود فيها البطالة والعطالة والأنانية^٣ ، يقول أحد من الباحثين : " إن البطالة مشكلة اقتصادية اجتماعية ، تنمن من وطأتها كثير من المجتمعات الأجنبية والغربية ، فبين الفينة والفينة تنشر الصحف إحصائيات عن ارتفاع نسبة البطالة في تلك المجتمعات ، وعن تزايد أعداد البطالين الذين أصبحوا جيوشاً"^٤ .

^١ ينظر : أبو صفيه خليل ، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .
^٢ راجع : العثمان ، أحمد بن موسى ، الوقف الخيري صدقة جارية لبناء الوطن ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

^٣ منصور ، سليم هاني ، الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية ، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف العربية والسعودية ، ص ٢٩ ، والدوسري ، محمد بن عبد الله ولد محمدن ، الوقف الخيري وأثره في الوقاية من الجريمة دراسة تأصيلية ، مرجع سابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .

^٤ الصباغ ، محمد بن لطفي ، الحياة الاجتماعية في ضوء السنة ، ط ١ ، (السعودية :

والجدير بالذكر أن هناك بطالة اختيارية ممن يقدرّون على العمل ، ولكنهم يجنحون إلى القعود ، ويستمرّون الراحة ويؤثرون أن يعيشوا عالية على غيرهم ، فالإسلام يقاوم هؤلاء ولا يرضى عن مسلكهم ، فلا حظ لهم في مال الزكاة ، لأن عطاء مثل هؤلاء فيه تشجيع على البطالة ، وهذا يخالف تعاليم الإسلام ومقصد الزكاة ، وقد جاء في الحديث : " لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي " ^١ ، وبذلك تعد الزكاة من أفضل الطرق التي تحوّل المجتمع من مجتمع خامل عاطل إلى مجتمع شغال ومنتج اقتصادياً ، وخال من البطالة والفقير ، فإذا كانت الزكاة استخدمت بهذه الطريقة سوف تكون أداة فاعلة في تطهير المجتمع من البطالة التي تتسبب بالفقر والقلق والتوتر ، وتكون مساهمة بالغة في تحريك عجلة الحياة الاقتصادية وإرساء العدل في المجتمعات المسلمة ^٢ .

دور الزكاة في القضاء على الأمية :

يعتبر انتشار الأمية والجهالة من أبرز المشاكل الاجتماعية ، فانتشار التعليم دليل على رقي الشعوب وتطورها ، لأن الدراسات المعاصرة تؤكد أن نهضة المجتمع نهضة علمية وثقافية تنحصر على النهوض بالمجتمع علمياً وثقافياً ^٣ ، وانتشار الأمية دليل على تفاقم الجهل وتخلف الأمم ، وترتبط الأمية بأمراض ومشاكل اجتماعية واقتصادية مثل ضعف الإنتاج ، وعدم القدرة على استخدام الطرق التكنولوجية ، " وإن التعلم والتعليم روح الإسلام ، لا بقاء لجوهره ولا كفالة لمستقبله إلا بهما " ^٤ ، ومشكلة الجهل كثيراً ما يكون سببها الفقر ، فالفقير لا يستطيع أن يتعلم ولا أن يعلم أولاده ، كيف وهو في حاجة إليهم ليعملوا معه منذ

مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ص ١٩٤ .

^١ ينظر : أبو داود ، ص ١١٨ .

^٢ ينظر : محمد حسيب الدين ، مكانة الزكاة في بناء المجتمع الإسلامي ، ص ١٢ - ١٣ .
^٣ راجع : رحمانى ، إبراهيم ، الوقف العلمي وسبل تفعيله في الحياة المعاصرة ، بحث ضمن أعمال أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية ، ص ٨١١ - ٨١٣ ، والشلتوتى ، أنور محمد ، التدابير الشرعية لإعادة الوقف العلمي إلى دوره الفاعل في النهضة العلمية للأمم ، ضمن أعمال أثر الوقف الإسلامية في النهضة العلمية ، ص ٧ - ٨ .

^٤ الغزالي ، محمد ، خلق المسلم ، ط ١٣ ، (دمشق ، دار القلم ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ، ص ٢٣٤ .

نعومة أظفارهم ، لهذا كانت الحاجات الأصلية التي يجب أن تتوافر للفقير في عصرنا من حصيلة الزكاة أن يتعلم ويتعلم أولاده ما لا بد لهم منه لدينهم ، وقد ذكرنا من قبل ما قاله علماؤنا : إن المتفرغ لطلب العلم له حق في الزكاة بخلاف المتفرغ للعبادة كما قالوا : أن يعطى من الزكاة ما يشتري به كتب العلم اللازمة له إن كان من أهله ، يقول القرضاوي : " فأما إذا تفرغ لطلب علم نافع ، وتعذر الجمع بين الكسب وطلب العلم ، فإنه يعطى من الزكاة قدر ما يعينه على أداء مهمته ، وما يشبع حاجاته ، ومنها كتب العلم التي لا بد منها لمصلحة دينه ودينه ، وإنما أعطي طالب العلم لأنه يقوم بفرض كفاية ؛ ولأن فائدة علمه ليست مقصورة عليه ، بل هي لمجموع الأمة ، فمن حقه أن يعان من مال الزكاة ؛ لأنها لأحد رجلين ، إما لمن يحتاج من المسلمين ، أو لمن يحتاج إليه المسلمون ، وهذا قد جمع بين الأمرين " ^١ ، وليس العلم المطلوب محصوراً في علم الدين وحده ، بل كل علم نافع يحتاج إليه المسلمون في دنياهم فإن تعلمه فرض كفاية كما قرر الغزالي والشاطبي وغيرهما من العلماء ^٢ .

وما قام به نظام الزكاة في العصور السابقة دليل ساطع على القضاء على الأمية ، فقد شهدت الحضارة الإسلامية حركة علمية ناشطة من المساجد والمكتبات والكتاتيب ودروس وحلقات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ^٣ .

ولنظام الزكاة أساليب مميزة في القضاء على الأمية عن طريق المدارس والمساجد والجوامع والحلقات العلمية التي تكون مفتوحة لكل فرد من أفراد المجتمع ، ونتيجة هذه الأموال الزكوية والخيرية يسهل استقطاب أبناء الفقراء والمساكين ومساعدتهم على أن يصبحوا علماء وفقهاء في مجتمعاتهم ^٤ .

^١ القرضاوي ، يوسف ، مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

^٢ القرضاوي ، يوسف ، مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام ، ص ١١٢ .

^٣ القرضاوي ، يوسف ، أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية ، ط ٢ ، (مصر ، دار الشروق القاهرة) ، ص ١٤٦ .

^٤ راجع : مجلس التعليم ، سلطنة عمان ، الوقف التعليمي موروث حضاري وآفاق مستقبلية ، مرجع سابق ، ص ١٧ - ١٩ .

رحلة " الفوز العظيمة " للشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني : دراسة تحليلية

(الحلقة الأولى)

د . ثمامة فيصل*

قبل الخوض في الحديث عن هذه الرحلة التاريخية ، يطيب لنا أن نتحدث قليلا عن صاحب هذه الرحلة الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ، وأن نسلط الضوء على حياته وخدماته بإيجاز .

هو الشيخ محمد حبيب الرحمن خان بن محمد تقي خان بن زَمَان خان بن باز خان الشرواني ، ذكر المؤرخون أن " سرواني " بالسین المهملة هو اسم أحد أجداده ، ثم غيرت السین المهملة بالشين المعجمة فأصبحت " شرواني " ^١ . ويُذكر أن أبناء هذه القبيلة هاجروا من وطنهم قرب قندهار بأفغانستان إلى الهند في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي تلبية لدعوة بهلول لودِي أحد سلاطين دلهي ومؤسس سلطنة لودِي التي قامت في شمال الهند في ١٤٥١م ، واتخذت مدينة دلهي عاصمة لها ^٢ .

تولى أبناء هذه القبيلة مناصب رفيعة في الحكم والإدارة زمن سلطنة دلهي ، ولما قامت الإمبراطورية المغولية في الهند سنة ١٥٢٦م ، اضطروا إلى الهجرة من دلهي ، وانتشروا في مناطق مختلفة حيث تقع اليوم مدينة علي كره ، بشمال الهند ، واستقروا فيها ^٣ .

واضطروا إلى الهجرة مرة ثانية زمن الفتنة التي أثارها الزُطُّ في هذه المنطقة خلال القرن الثامن عشر الميلادي . وبعد نحو ثلاثين عاما عاد أبو جده باز خان إلى هذه المنطقة واستقر في بلدة بيكم بُور قرب علي كره وجدد إعمارها ^٤ . وخلف جده زَمَان خان ثلاثة أولاد : هداية الله خان ، وعبد الشكور خان ، ومحمد تقي خان ^٥ . ووُلِدَ والد الشيخ الشرواني

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ، جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية - فرع لكاناؤ ، sumamaid@gmail.com

^١ سوانح مسيح الملك ، سيد محمد غياث الدين ، ص ٢٥ .

^٢ بزم رفتگان ، سيد صباح الدين عبد الرحمن ، ج ١ ، ص ١ .

^٣ المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢ ، وانظر كذلك شرواني نامه لحاجي عباس خان شرواني ، ص ١٣ وما بعدها ، وسوانح مسيح الملك لسيد محمد غياث الدين ، ص ٢٢ - ٢٦ .

^٤ بزم رفتگان ، سيد صباح الدين عبد الرحمن ، ج ١ ، ص ٣ .

^٥ صدر يار جنك ، مولوي شمس تبريز خان ، ص ٣١ .

محمد تقي سنة ١٢٥٣هـ وتوفي سنة ١٣٢٣هـ بعمر يناهز سبعين عاماً^١ .
أما الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ، فوُلد في ٢٨ شعبان سنة ١٢٨٣م الموافق ٥ يناير سنة ١٨٦٧م في بلدة بيكم بُور^٢ . وانتقل مع عائلته في طفولته إلى بلدة حَيِّبْ غُنْج التي كان قد أسسها والده نسبة إلى نجله حبيب الرحمن ، فاستقرت فيها العائلة . وتعلم الشيخ اللغتين الفارسية والعربية ، وقرأ كتب التفسير والحديث والفقه على كبار علماء عصره^٣ . كما تعلم اللغة الإنجليزية من الأساتذة البريطانيين في علي كره . وكان من أساتذته : المحدث الشيخ لطف الله^٤ والمحدث الشيخ حسين بن محسن اليماني^٥ والمحدث المقري عبد الرحمن الياني^٦ .
وألف الشيخ الشرواني كتباً ومقالاتٍ علميةً مختلفةً حول موضوعات إسلامية وتاريخية شتى . ونُشرت مقالاته في أشهر المجالات الأردنية الصادرة آنذاك من لُكنائِ ودلهي وعلي كره وغيرها . وصدرت مجموعة مقالاته في علي كره بعنوان " مقالات شرواني " . وشارك الشيخ الشرواني العلامة شبلي النعماني في إدارة مجلة الندوة الصادرة من دار العلوم لندوة العلماء .

وأما مؤلفاته ، فألف الشيخ نحو عشرين كتاباً باللغة الأردية تدور معظمها حول تراجم العلماء والسلف الصالحين وموضوعات دينية مختلفة^٧ . وكانت للشيخ الشرواني علاقة خاصة مع حركة ندوة العلماء ، وكان من مؤسسيها ، وكان يؤمن بإصلاح نظام التعليم وتحديثه في المدارس العربية في الهند ، وهذا ما كانت تهدف إليه ندوة العلماء أيضاً . وحضر الشيخ الشرواني الاجتماع الأول لمؤسسي الندوة في مدينة كانبُور سنة ١٨٩٤م ، واستمر حضوره في اجتماعات ومؤتمرات الندوة فيما بعد^٨ . وترأس ثلاث جلسات سنوية لدار العلوم التابعة لندوة العلماء^٩ .
ورغم اختلافه مع المصلح الهندي المعروف سيد أحمد خان في بعض

^١ المصدر السابق ، ص ٣٥ - ٣٦ .

^٢ ذكر صباح الدين عبد الرحمن في كتابه بزم رفتهكان أنه ولد في ١٨٦٦م . انظر : بزم رفتهكان ، ج ١ ، ص ١ .

^٣ صدر يار جنك ، مولوي شمس تبريز خان ، ص ٤٣ - ٤٤ .

^٤ المصدر السابق ، ص ٤٧ .

^٥ المصدر السابق ، ص ٥٥ .

^٦ المصدر السابق ، ص ٥٢ .

^٧ بزم رفتهكان ، سيد صباح الدين عبد الرحمن ، ج ١ ، ص ٦ - ٧ .

^٨ صدر يار جنك ، مولوي شمس تبريز خان ، ص ١٤٢ .

^٩ بزم رفتهكان ، سيد صباح الدين عبد الرحمن ، ج ١ ، ص ٩ .

معتقداته ومواقفه الدينية ، كان الشيخ من أنصاره المخلصين في حركته التعليمية ليتم تعليم أبناء الوطن على مناهج حديثة وأساليب جديدة . ولم يتوان أبداً في تقديم خدماته الجليلة لهذا الصرح العلمي العظيم من أجل خدمة الوطن وخدمة الأمة الإسلامية في مجال التعليم^١ .

وانتقل الشيخ إلى إمارة حيدر آباد الدكن وتولى بها منصب " صدر الصدور للشؤون الدينية " سنة ١٩١٨م ، وظل يخدم هذه الإمارة ؛ حتى منح لقب " الثواب صدر يار جنك " (جنغ) سنة ١٣٤١هـ اعترافاً بخدماته المخصصة للإمارة . ولما تأسست الجامعة العثمانية في حيدر آباد كان الشيخ من مؤسسيها ، وعين أول رئيس لها^٢ .

وانشأ الشيخ في بلدته حبيب غنج مكتبة عامرة بالكتب جمع فيها مجموعة كبيرة من المخطوطات والكتب المطبوعة ، وكان له اهتمام خاص بجمع الكتب النادرة ، وكان يستجلب الكتب من بلاد الشام ومصر وأوروبا وغيرها من أنحاء العالم ، وكان يستفيد من هذه المكتبة العلماء والباحثون من الهند والعرب والمستشرقين من شتى أرجاء العالم . وكان الشيخ معروفاً لدفع أفضل ثمن مقابل كل مخطوطة يشتريها لمكتبته ، وكان يستشير في اختيار الكتب لها العالم والمحقق والأديب الهندي المعروف العلامة شبلي النعماني صاحب كتاب " شعر العجم " و " الفاروق " ^٣ .

وأما خدماته في السياسة والإدارة فكان قد ورث الحنكة السياسية والسلطة الإدارية من أجداده ، فكان لهم باع طويل في هذا المجال منذ القدم . وحقا لقبه مترجمه الشيخ شمس تبريز خان رحمه الله بـ " ذي الرئاستين " و " صاحب السيف والقلم " ^٤ .

توفي الشيخ الشرواني في ١١ من أغسطس سنة ١٩٥٠م في علي كره ، بعد أن بلغ من العمر ٨٧ سنة . ودُفن بجوار أجداده في بلدة باموري قرب بلدته حبيب غنج بمديرية علي كره^٥ .

وأما رحلته للحج فقد أدى الشيخ فريضة الحج سنة ١٣٤٤هـ الموافق

^١ صدر يار جنك ، مولوي شمس تبريز خان ، ص ١٦٥ .

^٢ بزم رفتهكان ، سيد صباح الدين عبد الرحمن ، ج ١ ، ص ٩ .

^٣ صدر يار جنك ، مولوي شمس تبريز خان ، ص ٩٥ - ٩٦ .

^٤ المصدر السابق ، ص ٨٧ .

^٥ بزم رفتهكان ، سيد صباح الدين عبد الرحمن ، ج ١ ، ص ١٠ . وانظر ترجمته في شرواني نامہ لحاجي عباس خان شرواني ، وسوانح مسيح الملك لسيد محمد غياث الدين أيضا .

١٩٢٦م . فخرج من بيته في حبيب غنجد يوم السبت في ١٧ من شوال سنة ١٣٤٤هـ بعد صلاة العصر^١ ، ووصل إلى مكة بعد نحو شهر في ١٩ من ذي القعدة^٢ . وعاد إلى بيته بعد استكمال الرحلة يوم السبت في ١٧ من ربيع الأول سنة ١٣٤٥هـ . وهكذا استغرقت رحلته هذه خمسة أشهر بالضبط^٣ . وزار الشيخ خلال هذه الرحلة ثلاث مدن في الحجاز ، وهي مكة والمدينة وجدة ، كما زار مدينة المكلا باليمن في طريق عودته إلى الهند^٤ . وألف هذه الرحلة باللغة الأردية ، وعنونها بـ " الفوز العظيم " . ولكن تأخر نشرها ولم تر النور ؛ حتى تولت نشرها مطبعة معارف بمديرية أعظم كره بشمال الهند سنة ١٣٨٨هـ الموافق ١٩٦٨م . وهي تقع في ٨٢ صفحة .

يقول الشيخ معين الدين الندوي في مقدمة هذه الرحلة : أدى الشيخ فريضة الحج في ١٩٢٦هـ ، وألف نبذة موجزة عن رحلته ، وما زالت الرحلة غير مطبوعة ؛ حتى حصلنا على مخطوطتها من نجله الكريم وشيخنا الجليل عبيد الرحمن خان الشرواني ، وهذه الرحلة ذات أهمية تاريخية عظيمة^٥ . قد تحدث الشيخ الشرواني في هذه الرحلة عن الشخصيات التي قابلها ، وعن المناظر التي شاهدها ، وعن الأحداث والوقائع التي حدثت معه أثناء السفر ، وسجل فيها ملاحظاته وتعليقاته وانطباعاته القيمة . ونظرا إلى كثرة الشخصيات التي قابلها الشيخ وتحدث عنها في هذه الرحلة سيكون التركيز في هذه الدراسة على هذا الجانب من الرحلة دون الإغماض عن الموضوعات الأخرى مثل اهتمامه بقراءة الكتب وشراءه لها أثناء هذه الرحلة ، وزيارته للمكتبات والمدارس في مكة والمدينة ، وحديثه عن المؤتمر الإسلامي العالمي الأول الذي عُقد في مكة المكرمة في نفس السنة وما إلى ذلك .

تحدث الشيخ في هذه الرحلة عن لقاءاته مع الحكام والأمراء والعلماء . ومن أبرز الشخصيات التي التقى بها وكتب عنها في مذكرات رحلته هو الملك عبد العزيز آل سعود . فلما وصل الشيخ إلى جدة استقبله مندوبو الملك على متن السفينة ورحبوا به نيابة عنه ، فيكتب الشيخ عن ذلك : عندما أرسيت السفينة ، شرفني كل من الشيخ علي رضا زينل القائم بأعمال جدة ، ورئيس بلدية جدة ، ومدير جريدة أم القرى ،

^١ الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ٦ .

^٢ المصدر السابق ، ص ١١ .

^٣ المصدر السابق ، ص ٥٦ .

^٤ المصدر السابق ، ص ٥٤ .

^٥ المصدر السابق ، ص ١ .

وشخص آخر بزيارتهم لي على متن السفينة ، ورحبوا بي نيابةً عن ملك الحجاز عبد العزيز آل سعود ، وأركبونا معهم على زورق آلي وصلنا به إلى ساحل جدة بكل راحة ، وكان قد عُيِّنَ قصرُ الشريف علي لإقامتنا ، وهذا القصر يقع في عمارة فخمة مطلة على البحر ، وكانت تقع فيه دارُ الإمارة زمنَ الأشراف . وبعد قليل التحق بنا رفاقنا الآخرون أيضا ووصلت إلينا أمتعتنا . والصعوبة التي كنا نخاف منها ، لم نر لها أي أثر ، وقضينا ذلك اليوم بنهاره وليله في جدة . وأنزلنا الملك عبد العزيز في ضيافته . وعملا بنصيحة القائم بأعمال جدة أبلغنا الملك عن وصولنا إلى جدة بإرسال برقية إليه ، والتمسنا منه السماح بالحضور للقائه ، وفي الرد استلمنا منه رسالة ترحيب حار^١ .

وهذا يدل في جانب على حسن حفاوة الملك عبد العزيز بضيوفه وعلى إكرامه لهم ، وفي جانب آخر يدل على ما كان يتمتع به الشيخ الشرواني من مكانة رفيعة في عيون الحكام والأمراء .

وكان أول لقائه مع الملك عبد العزيز في ليلة الثاني والعشرين من ذي القعدة في قصر السقاف في مكة . وجاء إليه حافظ وهبة المصري ليذهب به إلى الملك بسيارة حكومية ، فيكتب الشيخ عن هذا اللقاء : كان الملك يستمع إلى الأحاديث المباركة آنذاك ، وأصر علي دون أي تصنع أن أجلس بقرب منه ، وكلمني بعد الفراغ من سماع الأحاديث ، واستمر هذا اللقاء نحو ٤٥ دقيقة ، إلا أننا لم نتحدث خلالها كثيرا ، وسادنا الصمتُ معظمَ الأحيان ، وطلبتُ منه السماح بالانصراف مرتين ، ولكنه أصر علي بالجلوس ، وبعد الترحيب استفسرني عن حالة الرحلة ، وسألني عن التسهيلات المتاحة لنا في عمارتنا في مكة ، وأبدى رأيه حول فتح حركة السيارات في الطريق بين مكة والمدينة ، وقال : إن المحطات التي تُوفّر ما تقتضيه هذه الوسيلة للنقل لم تُبنَ بعد ، وسيتم فتحها قريبا . وسألني عن عدد سكان حيدر آباد وإنتاجاتها . ولما سألت حافظ وهبة عن

^١ المصدر السابق ، ص ١١ .

^٢ حافظ وهبة ، ولد سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م ، من مؤرخي الدولة السعودية وسفرائها ، مصري الأصل والمولد والمنشأ ، تعلم مدة قصيرة بالأزهر وبمدرسة القضاء الشرعي ، وعمل في صحافة الحزب الوطني بالقاهرة والأستانة ، وسافر إلى الرياض بدعوة من الملك عبد العزيز آل سعود في ١٩٢٢م ، فعينه وزيرا مفضوا ثم سفيرا ، وأحيل إلى المعاش سنة ١٩٦٥م ، وتوفي في روما سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م . له من الكتب " جزيرة العرب في القرن العشرين " ، و " خمسون عاما في جزيرة العرب " . انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

هذا اللقاء بمناسبة أخرى ، أخبرني أن الملك قال عني : هو رجل أصيل^١ .
وذكر الشيخ الشرواني أنه التقى بالملك عبد العزيز مرة ثانية في
الثاني من ذي الحجة في الحفلة التي أقيمت بمناسبة بناء نهر زبيدة ، وأنه
تبرع بألف روبية لبناء النهر^٢ .

ونجد الشيخ الشرواني يتحدث عن الملك في موضع آخر في رحلته .
فيقول : إنه لما أراد السفر إلى الطائف ليقضي بها بضعة أيام لكي يسترد
خلالها صحته بعد تعافيه من المرض ، وبلغ ذلك الخبر الملك عبد العزيز ،
هياً لإقامته هناك مكاناً مناسباً ، وحدد بئراً ليشرب منها الماء ، واقترح
عليه السفر إلى الطائف ، إلا أن الشيخ لم يتيسر له هذا السفر ، فسافر
من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة^٣ .

وتحدث الشيخ في هذه الرحلة عن لقائه مع حاكم المدينة المنورة
إبراهيم بن سالم السبهان ابن الرشيد^٤ . التقى به أولاً في أحد أيام الجمعة ،
وكان مع ابن الرشيد نائبه حمزة غوث^٥ ، فيقول الشيخ عن هذا اللقاء :
وبعد ذلك التقيت بحاكم المدينة المنورة ابن الرشيد الذي قد تعهد بحل جميع
مشاكل أهل المدينة ، ونائبه السيد حمزة غوث أيضاً يتحلى بنفس الصفات
، جزاهما الله تعالى عنا خيراً ، لقيني كلاهما بكريم الأخلاق^٦ . والتقى
به الشيخ ثانية في حفلة زواج نجله يوم الاثنين بعد صلاة العصر في ٢٣ من
شهر محرم الحرام^٧ . وكان لقاءه الثالث والأخير معه لقاء الوداع قبل
مغادرته المدينة المنورة بعد العصر يوم الأربعاء في الثامن من شهر صفر^٨ .

وممن التقى بهم الشيخ في مكة حافظ وهبة المصري مستشار
الحكومة السعودية . فيكتب عن لقائه معه : وشرفني بالزيارة المستشار

^١ الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ١٣ .

^٢ المصدر السابق ، ص ١٤ .

^٣ المصدر السابق ، ص ٢٠ .

^٤ بعد استلام محمد بن عبد العزيز المدينة المنورة من الأشراف في ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ
عين إبراهيم السبهان وكيلاً عنه في المدينة المنورة ، وظل متقلداً هذا المنصب حتى نهاية جمادى
الأخرة سنة ١٣٤٥هـ . انظر : تاريخ أمراء المدينة المنورة لعارف أحمد عبد الغني ، ص ٤٣٠ .

^٥ من أهالي المدينة المنورة أصلاً ، وكان من وجهائها ، عين نائب وكيل أمير المدينة
المنورة في رمضان ١٣٤٤هـ ، واستمر عليه طيلة وكالة إبراهيم السبهان ومشاري بن
جلوي . انظر : تاريخ أمراء المدينة المنورة لعارف أحمد عبد الغني ، ص ٤٢٨ .

^٦ الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ٣١ .

^٧ المصدر السابق ، ص ٣٤ .

^٨ المصدر السابق ، ص ٤١ .

في الحكومة السعودية حافظ وهبة المصري مع بعض المرافقين ليهنئي بهذه المناسبة ، واشتكى إلي بأنه لم يُبلِّغ مُسبقاً بقدمي إلى مكة ، فلم يستطع الترحيب بي في الوقت المناسب ، وكانوا متطلعين إلى ذلك ^١ .
واستفاد الشيخ أثناء إقامته في مكة بالشيخ حبيب الله الشنقيطي ^٢ ، وتشرف بتلقي حديث المصافحة والمشابكة وبعض الروايات الأخرى منه بسنده ^٣ .

وفي المدينة أيضاً تشرف الشيخ بلقاء العديد من العلماء الأفاضل ، فالتقى بالشيخ حمزة الرفاعي ^٤ مرتين . التقى به أولاً في أحد أيام الجمعة بعد الظهر ، فيقول عن هذا اللقاء : وفي نفس اليوم بعد الظهر حضرت إلى السيد حمزة الرفاعي شيخ السلسلة الرفاعية ، والتقيت به ^٥ .
والتقى به ثانية يوم الاثنين في ٢١ محرم الحرام ، وتشرف بالمشاركة في حلقة الذكر التي أقيمت في بيته ، وكان الشيخ يهلهل جهراً قائماً متابعاً أصوات الدف ^٦ .

(للحديث صلة)

^١ المصدر السابق ، ص ١٣ .

^٢ محمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد الشنقيطي ، عالم بالحديث . ولد وتعلم بشنقيط ، وانتقل إلى مراكش ، فالمدينة المنورة ، واستوطن مكة ، ثم استقر بالقاهرة مدرساً في كلية أصول الدين بالأزهر ، وتوفي بها سنة ١٣٦٣هـ الموافق ١٩٤٤م . من كتبه : " زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم " ، و " إيقاظ الأعلام في رسم المصحف " ، و " دليل السالك إلى موطأ مالك " ، و " إضاءة الحالك " ، و " أصح ما ورد في المهدي وعيسى " ، و " هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث " ، و " إكمال المنة " ، و " الخلاصة النافعة " ، و " حياة علي بن أبي طالب " . انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٦ ، ص ٧٩ ، وأعلام المكين من القرن التاسع إلى القرن الرابع الهجري لعبد الله بن عبد الرحمن المعلمي ، ص ٥٧٤ .

^٣ الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ١٩ .

^٤ هو السيد حمزة بن السيد أبي الحسن الرفاعي ، ولد سنة ١٢٨٢هـ بالمدينة المنورة ، وحفظ القرآن في أروقة المسجد النبوي ، ثم نهل من دروس وحلقات كبار علماء المسجد ، وانتهت إليه بعد وفاة والده مشيخة الطريقة الرفاعية في المدينة . فكان يزوره مريدو الطريقة من أنحاء العالم الإسلامي في زاويته الشهيرة بزقاق البدور شرقي المسجد النبوي الشريف والتي كانت تعرف بزواية الرفاعي . عُرف السيد حمزة كأحد وجهاء المدينة وأعيانها بين طبقات المجتمع . توفي يوم الأربعاء في ١٤ من شهر رجب سنة ١٣٦٦هـ . انظر : أعلام من أرض النبوة للشريف أنس بن يعقوب الكتبي الحسني ، ص ١٩٩ - ٢٠٦ .

^٥ الفوز العظيم ، حبيب الرحمن خان الشرواني ، ص ٣١ .

^٦ المصدر السابق ، ص ٣٣ .

الالتفات في القرآن الكريم :

سر الإعجاز البلاغي وجمال التحول البياني

د . فردوس مون . ك *

الأخ خالد . ك *

مقدمة :

يُعتبر الالتفات أحد الأساليب البلاغية البارزة والمثيرة في اللغة العربية ، وقد برع القرآن الكريم في استخدامه لإضفاء عمق وتأثير بياني فريد على آياته . ويتمثل هذا الأسلوب في الانتقال من ضمير إلى آخر أو من أسلوب مخاطبة إلى آخر دون سابق إنذار ، مما يُشعل انتباه السامع أو القارئ ويعزز انخراطه في النص . ويسهم الالتفات في توسيع المعنى وتكثيفه ، ليفتح آفاقاً متعددة للإدراك الإنساني ، ويثري التجربة القرآنية على مستويات متجددة ، إذ ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم قرابة ٩٠٠ مرة .

تعريف الالتفات :

الالتفات هو التحول في الأسلوب الخطابي داخل النص ، من صيغة إلى أخرى ، مثل الانتقال من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب ، أو من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم ، أو من الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر . هذه التحولات السريعة تعكس بلاغة القرآن الكريم وتؤدي إلى استثارة ذهنية القارئ وزيادة انتباهه ، وتعمل كآلية فعّالة لإيصال المعنى الإلهي بشكل مباشر وعميق .

التسمية :

تمت تسمية الالتفات بعدة أسماء ، واختلفت هذه التسميات باختلاف آراء النحاة القدامى الذين تناولوا هذا الأسلوب . التسمية المتعارف عليها اليوم هي " الالتفات " ، ويرجع أصل تسمية المصطلح

* الأستاذ المساعد ، قسم اللغة العربية بكلية أم إي أس ممباد ، كيرالا .
* باحث الدكتوراة ، قسم اللغة العربية بكلية أم إي أس ممباد ، كيرالا .

البلاغي بالالتفات إلى الأصمعي^١. والالتفات في اصطلاح البلاغيين هو التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر^٢. واللفت لغة يعني الصرف، لفت وجهه عن فلان: أي صرفه عنه، والتفت إليه: أي صرف وجهه إليه^٣. وسمي بأسماء أخرى منها "الترك والتحويل" التي تعود للنحوي أبي عبيدة معمر بن المثنى، والذي يعدّ من أوائل النحويين الذين تحدثوا عن الالتفات في كتابه "مجاز القرآن". كما سمي أبو زكريا الفراء هذه الطريقة اللغوية باسم "الانتقال"، أخيراً سُميت باسم "محاسن الكلام" بواسطة ابن المعتز في كتابه "البدیع".

أنواع الالتفات في القرآن الكريم:

ينقسم الالتفات في القرآن الكريم إلى عدة أنواع، لكل منها تأثيره الخاص ودلالته البلاغية. فيما يلي أبرز الأنواع مع أمثلة قرآنية لكل نوع:

(أ) الالتفات من الغائب إلى المخاطب:

يعتبر هذا النوع من أشهر أنواع الالتفات في القرآن، حيث يبدأ الكلام بالحديث عن الغائب، ثم ينتقل مباشرة إلى مخاطبة السامع. ومن أمثله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)^٤. هنا، بدأ النص بالثناء على الله بضمير الغائب "الذي خلق"، ولكن التحول المفاجئ إلى صيغة الناس "بربهم" يوحي بأن الله يخاطب السامعين، مما يخلق تأثيراً مباشراً وعميقاً حول عظمة الله وتناقض الكافرين.

(ب) الالتفات من المتكلم إلى الغائب:

يتم هذا النوع من الالتفات عندما يبدأ النص بضمير المتكلم ثم يتحول إلى ضمير الغائب، وهذا النوع يساهم في تعزيز معاني العظمة والرهبة في النص القرآني. مثال ذلك: (إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)^٥. هنا في البداية، يستخدم النص ضمير المتكلم "إننا"، مما

^١ شهقر، ضيف، البلاغة تطهر، وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط ٩، ١٩٦٥، ص ٣٠.

^٢ المدان، البلاغة العربية أسسها وعلومها فنونها، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦، ط ١، ج ١، ص ٤٧٩.

^٣ ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، مادة (ل، ف، ت).

^٤ سورة الأنعام: ١.

^٥ سورة الحجر: ٩.

يُظهر عظمة الله وقدرته ، لكن الانتقال إلى ضمير الغائب في " له " يوحى بشمول القدرة الإلهية في حماية الذكر (القرآن الكريم) ، مما يبرز التوكيد على هذا الحفظ .

(ج) الالتفات من المتكلم إلى المخاطب :

يستخدم هذا النوع لإشعار السامع بأن الله يخاطبه مباشرة ، مما يزيد من تفاعله وتأثره بالآيات . مثال هذا النوع : (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ)^١ .

في هذا الموضوع ، يأتي الالتفات من المتكلم إلى المخاطب " عليكم " ، مما يقرب المعنى ، ويشعر المستمع بأهمية النعم الإلهية التي ينعم بها ، ويحفزه للتفكير فيها .

(د) الالتفات من المفرد إلى الجمع :

الانتقال من صيغة المفرد إلى الجمع يمنح النص تفاعلاً أوسع ، ويظهر تعدد الخطاب وشموليته ، كما في قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا نُؤَسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)^٢ . هنا ، يبدأ الكلام بصيغة المفرد " نفسه " ، ثم ينتقل إلى صيغة الجمع " نحن " للدلالة على العظمة والقدرة الإلهية المحيطة بالإنسان .

(هـ) الالتفات بين الأزمنة (من الماضي إلى الحاضر أو المستقبل) :

هذا النوع يتم فيه الانتقال بين الزمن الماضي والحاضر ، ليضفي إحساساً بامتداد الزمن واستمرارية الأحداث ، كما في قوله تعالى : (وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا)^٣ ، هنا ، الانتقال من الزمن الماضي " أتينا " إلى الزمن الحاضر " جعلناه " يظهر استمرارية الإرشاد الإلهي ، ويجعل السامع يشعر بامتداد الهدى عبر الزمان .

دلالات الالتفات في القرآن الكريم :

(أ) تنبيه السامع :

الالتفات يلفت انتباه السامع من خلال الانتقال المفاجئ ، مما يجعله يدرك أن هناك رسالة خاصة أو معنى مميزاً يجب الانتباه له . فعندما ينتقل

^١ سورة المائدة : ٢٠ .

^٢ سورة ق : ١٦ .

^٣ سورة الإسراء : ٢ .

الخطاب من المخاطب إلى المتكلم أو العكس ، يتأهب السامع وينجذب للتركيز على ما يقال ، كأن النص يريد أن يوصله لذروة الانتباه .

(ب) التأكيد على المعنى :

الالتفات يضيف على النص معاني إضافية ، ويعزز الرسالة من خلال التأكيد . فعند الانتقال من ضمير إلى آخر ، يتولد شعور بالتنوع والقدرة الإلهية . مثال ذلك : (فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ)^١ ، هنا يظهر الانتقال من المخاطب " فادْكُرُونِي " إلى المتكلم " أَذْكُرْكُمْ " ، ليبرز قرب الله واستجابته المباشرة ، مما يُشعر السامع بأن الله حاضر ومستجيب .

(ج) تعزيز الوعي بالتدبير والتأمل :

يساهم الالتفات في جعل القارئ يتوقف للتدبير ، وذلك من خلال إيقاع المفاجأة الذي يحدثه الانتقال المفاجئ بين الضمائر أو الأزمنة ، كما أن هذا التغيير يساهم في التركيز على القيم والأوامر الإلهية .

أمثلة إضافية للالتفات في القرآن :

(١) الانتقال من الزمن الحاضر إلى الماضي :

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ)^٢ ، الانتقال هنا يوحي بتأكيد أن كل الرسل خلت من قبل ، وأن حياة النبي موقته مما يدعو السامعين للثبات على الإيمان .

(٢) الانتقال من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب :

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا)^٣ ، الانتقال هنا من المخاطب " ترى " إلى ضمير الغائب " المجرمون " يؤكد مشهد الندم والشعور بالخزي أمام الله ، ويضيف قوة على الإحساس بالمشهد التصويري .

الخاتمة :

يعد الالتفات أحد أسرار الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، فهو يعزز من عمق المعاني ، ويزيد من التأثير على المتلقي ، محققا تفاعلا مع النص القرآني بأكثر من مستوى . وقد أثبتت الآيات أن هذا الأسلوب له دور كبير في شد انتباه القارئ ، وتوجيهه نحو فهم أعمق لأوامر الله ونواهيها .

^١ سورة البقرة : ١٥٢ .

^٢ سورة آل عمران : ١٤٤ .

^٣ سورة السجدة : ١٢ .

هُويّة اللغة العربيّة ودورها في وحدة الأمة الإسلاميّة

بقلم : الباحث صابر علي شيخ العمري *

إن اللغة العربيّة تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري ولفظي ممتد من الرسالة المحمديّة ومعجزاته الخالدة المتمثلة في نزول القرآن الكريم ، ولا شك أن القرآن الكريم هو أول أصل من أصول وحدة الأمة في دينها وهويتها ولسانها ، وقد وصفه الله تعالى بالمبين ، حيث قال : (وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) [سورة النحل : ١٠٣] ، وإن خدمة هذا الكتاب الذي نزل باللسان العربيّ المبين من أول الأهداف التي يتطلع إليها مَنْ استنار قلبه بنور الإيمان .

تعتبر الهوية الإسلاميّة بجوانبها الدينيّة واللغويّة والفكريّة والسياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والتاريخيّة ، من أهمّ عواملها جمع كلمة المسلمين ، وتوحيد رأيهم ، فمنذ فجر الإسلام لم يعرف المسلمون عاملاً مشتركاً أعظم من الهوية الإسلاميّة ، فقد كانوا أصحاب حضارة واحدة رغم اختلاف أحوالهم عربيّة وعجميّة ، وعلماء وجهلاً ، وغنى وفقراً .

أما دور اللغة العربيّة في تحقيق صفة الإسلاميّة فهي أن اللغة - أي لغة - ليست مجرد أصوات وألفاظ ، ولكن اللغة لسان ثقافة وسيّاح هوية ، فنشر اللغة سيّبعه بالضرورة نشر الثقافة الإسلاميّة التي ستضيئ الطريق أمام الشعوب الإسلاميّة الباحثة عن هويتها الآن بشكل واضح ظاهر ، خصوصاً بعد تيارات الهويات البديلة ، التي فرضت عليها القوميّة والأُمميّة والاشتراكيّة وغيرها .

أما وحدة هذه الأمة فقد تحققت في القديم من وحدة الدين ووحدة اللسان ومن ثم وحدة الثقافة والفكر ، ووحدة التصور والشعور والوجدان .

نحاول بهذا المقال على تسليط الضوء على إبراز عالميّة اللغة العربيّة ودورها المحوري في الحفاظ على الهوية الإسلاميّة ، ووحدة الأمة الإسلاميّة ، والتحديات التي تواجهها اللغة العربيّة وسبل معالجتها :

* كولكاتا ، الهند .

طبيعة اللغة العربية ووظيفتها الاجتماعية :

تنبه ابن جني رحمه الله إلى طبيعة اللغة ، ووضع حد لها ، حيث قال في باب القول على اللغة وما هي ؟ أما حدها فإنها أصوات يعبر كل قوم عن أغراضها^١ . وقد علق الدكتور محمود فهمي حجازي^٢ على هذا التعريف بقوله : " هذا تعريف دقيق ، يذكر كثير الجوانب المميزة للغة أكد ابن جني أولاً ، الطبيعة الصوتية للغة ، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر . وذكر أيضاً أنها تستخدم في مجتمع ، فكل قوم لغتهم^٣ . وقد ذهب الباحثون المحدثون إلى تعريفات مختلفة للغة العربية كلها تؤكد الطبيعة الصوتية للغة ، والوظيفة الاجتماعية لها ، وتنوع البيئة اللغوية من مجتمع إنساني لآخر ، من هؤلاء اللغويين :

(١) فردينان دي سوسير Ferdinand De Saussure^٤ عرف اللغة بأنها نظام من الإشارات التي تعبر عن الأفكار^٥ أي أن لها مساراً محدداً من الرموز المكتوبة والإشارات التي تقابل الأصوات المنطوقة .

(٢) وجورج ليونارد تراجر George Leonard Trager^٦ عرف اللغة بأنها نظام من الرموز الاجتماعية المنطوقة المتعارف عليها ، وهي رموز صوتية ، يتفاعل بواسطتها أفراد مجتمع ما في ضوء الأشكال الثقافية الكلية عندهم^٧ .

فالتفاعل (INTARACTION) هنا هو الهدف ، والتفاعل كما نعلم درجة أعلى من الاتصال ، لأنه لا يحقق المشاركة بمجموعة من الحواس ، كالرؤية والسمع ، فإذا كان الاتصال مجرد نقل فكرة من طرف إلى آخر ، فإن التفاعل يعني المشاركة الوجدانية ، وهي تمثل درجة أكبر من الاتصال ويتعدى حدوده لذلك نستطيع أن نقول : إن اللغة حديثاً هي نظام

١ الخصائص ، لابن جني : ٣٣/١ .

٢ أستاذ علم اللغة في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام ١٩٩٩م .

٣ علم اللغة العربية ، محمود فهمي حجازي ، الجزء الأول ، ص ٩ .

٤ هو عالم لغوي سويسري شهير ، ويعرف بأنه الأب للمدرسة البنوية في علم اللسانيات فيما عده كثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث وتوفي سنة ١٩١٣م .

٥ علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ص ٣٤ .

٦ وجورج ليونارد تراجر George Leonard Trager كان عالماً لغوياً أمريكياً ، كان رئيساً للجمعية اللغوية الأمريكية ، توفي ١٩٩٢م .

٧ الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية : <http://www.academia.edu>

متكامل مكوّن من مجموعة عناصر ، هي المكوّنات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والرمزية المعبّرة عن فكر الإنسان ، وحالته النفسية والوجدانية ، وهي مكتسبة نامية متطورة بتطور الإنسان ، ولذلك يرى البعض أن اللغة تشبه الكائن الحي ، فهي تتنفس وتتمو وتكبر وتترعرع وتشبّ وتشيوخ ، وقد تموت إذا لم تتوفر لها عوامل الديمومة والبقاء والاستمرارية ، وكل ذلك مرهون بتغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية ، فعند ما يتطور المجتمع فكريا وحضاريا وإنتاجيا ، تتطور اللغة والعكس ، ولذلك نجد أن اللغة في البيئة البدوية من حيث استخدام الأساليب تختلف عنها في المدينة الحضارية .

إن اللغة العربية هي من أقدم اللغات وأغناها على الإطلاق ، لأن أول إنسان آدم عليه السلام على القول الراجح تكلم بالعربية ، وذلك استنباطاً من نصوص القرآن عند المفسرين ، والأحاديث التي جاءت عن خلق أبينا آدم عليه السلام . فقد علم الله تعالى آدم الأسماء كلها حيث قال الله تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)^١ . ثم جاء في الحديث أنه لما نفخ الله تعالى الروح في جسد آدم عطس آدم ثم قال : الحمد لله . ثم علمه الله تعالى كيف يلقي السلام على الملائكة فحياهم بقوله السلام عليكم^٢ . فهذان اللفظان " الحمد لله والسلام عليكم " عربيان أصيلان ، ما يدل على عربية لسان أبينا الأول .

قال ابن حزم : ولا ندري أي لغة هي التي وقف آدم عليه السلام عليها أولاً ، إلا أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها ، وأبينها عبارة ، وأقلها إشكالاً ، وأشدّها اختصاراً ، وأكثرها وقوع أسماء مختلفة على المسميات كلها المختلفة من كل ما في العالم من جوهر ، أو عرض^٣ .

عالمية اللغة العربية :

وكانت اللغة العربية قد بلغت قبل البعثة المحمدية أوج كمالها في التعبير البليغ السامي عن جميع مقومات الحياة ، وتريعت على ذروة المجد في الفصاحة والبلاغة والنتاج الأدبي شعراً ونثراً ، وظهرت روائع إنتاجها في الأشعار والأمثال والقصص والحكم والخطب ، وبهذا التوصيف أستطيع

^١ سورة البقرة ، الآية ٣١ .

^٢ أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) ، والبزار (٨٤٧٨) ، وابن خزيمة في (التوحيد) بسند

صحيح .

^٣ ابن حزم ، الإحكام في أصول الأحكام ، المجلد الأول .

أن أقول بأنها شاعت العربية على أنها لغة قومية ، فوحدت كيان العرب في شبه الجزيرة العربية ، وميزتهم عن غيرهم من الشعوب والقبائل ومع نزول القرآن بهذه اللغة ، ارتفع شأنها ، وأصبحت اللغة السائدة في بلاد العرب والمسلمين كافة .

وإن للغة العربية فضلاً كبيراً على نشر حضارة الفكر العربي الإسلامي ، وتقدم العلوم والفنون المتنوعة والآداب المختلفة ، ولأجل القرآن الخالد ظهرت علوم القرآن كلها ، كما ظهرت علوم اللغة والنحو والصرف ، والبلاغة التي كانت أساساً لتفسير نصوص القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ليسهل فهمها ، وتبين مقاصدها ، ومن أجله أيضاً ظهرت علوم منهجية ، مثل علوم التاريخ والأخبار والأسانيد وغيرها ، كما تقدمت تطبيقاً لتعاليم القرآن والحديث علوم كثيرة ، مثل الرحلات والجغرافيا والسير ، واستحدثت علوم الطب والكيمياء والاجتماع وعلوم أخرى تابعة لدراسة القرآن والحديث ، مثل التجويد والتلاوة والدراية والرواية ، إلى جانب علوم عديدة إسلامية^١ ، وبهذا التوصيف انتقلت اللغة العربية من القومية القطرية إلى الكونية العالمية ، ولنا أن نتأمل في هذه الآيات القرآنية (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^٢ ، وقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)^٣ ، وقوله سبحانه تعالى : (وَأَرْسَلْنَاكَ لِّلنَّاسِ رَسُولًا)^٤ .

ولأسرار وحكم بالغة يعلمها خالق البشر ، حيث اختار الله سبحانه وتعالى هذه اللغة وعاء لكتابه الخالد ، كما أشار إليه قوله : (وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)^٥ .

كل هذه الآيات تشير إلى عالمية اللغة العربية ، بعد أن كانت توصف بأنها لغة قومية ، وذلك بفضل انتشار الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، ودخول الناس في دين الله أفواجا ، الأمر الذي

١ دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية في تعليم اللغة العربية ، حسين سليمان قورة ، ص ٢١ - ٣٩ .

٢ سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ .

٣ سورة سبأ ، الآية ٢٨ .

٤ سورة النساء ، الآية ٧٩ .

٥ سورة الشعراء ، الآية ١٩٣ .

يحتتم عليهم تعلم اللغة العربية ، حتى يستطيعوا فهم دينهم الإسلامي الجديد وتعاليمه السمحة البيضاء ، ونستببط عالمية اللغة العربية من خلال ربط دلالة الآيات بعضها ببعض ، فكل نبي أو رسول جاء بلسان قومه ، وهو مخصوص في زمان ومكان محددين ، إلا رسول الله محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين ورسول العالمين ، الذي جاء بلسان العالمين ، فكان رحمة للعالمين ، وأرسل للناس كافة ، فالزمان والمكان مفتوحان لنهاية له إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فإن اللغة العربية تتجاوز الحدود والسدود والقيود ، والأجناس والأعراق والألوان ، للزومها أصلاً لأداء المناسك الدينية ، كالصلاة التي لا تصح إلا بتلاوة القرآن ، وتلاوة القرآن لا تصح إلا باللغة العربية ، ويتضح من هذا مدى حيوية اللغة العربية ، معظم طاقتها ، ولما تمتاز به من قوة بيانها ، وأصالة ألفاظها وأصواتها ، وموسيقى كلماتها ، ووفرة مفرداتها ، وجمّة معانيها .

تقول عائشة بنت الشاطي : " ليست اللغة العربية كمجرد مادة يتعلمها التلميذ ، ويؤدي الامتحان فيها بمستوى ، أو بآخر ، ولكنها مجلي أصالته ، ولسان قوميتّه ، الذي يصله بتاريخ أمته ، وتراث آباءه وأجداده ، ويتجاوب به فكراً مع أبناء وطنه " .

ولما كانت العلوم الإسلامية كلها تقوم على المبادئ القرآنية والسنة النبوية فلا بد أن نغترفها من مياهلها الفيضة الأصلية ، من النصوص القرآنية والسنة النبوية ، فلا يتحقق هذا الهدف المنشود إلا عن طريق اللغة العربية التي هي وعاءهما الأصلي ، وإذا رجعنا إلى نصوص القرآن وجدنا أن اللغة العربية هي مركز الانطلاق إلى رياض القرآن ، إذ جاء فيه : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)^٢ ، وأيضاً (كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)^٣ ، وقال تعالى أيضاً : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)^٤ .

لا يخفى على ذي لب ما للغة العربية من أهمية عظيمة ، في كونها لغة كتاب الله العزيز والسنة النبوية المطهرة ، وكونها جزءاً من ديننا الحنيف ، بل لا يمكن أن يقوم الإسلام إلا بها ، ولا يصح أن يقرأ القرآن

^١ لغتنا والحياة ، لعائشة بنت الشاطي : ص ١٩٢ ، ط ٢ ، ١٩٩١ م ، دار المعارف ، القاهرة .

^٢ سورة يوسف ، الآية ٢ .

^٣ سورة فصلت ، الآية ٣ .

^٤ سورة محمد ، الآية ٢٤ .

إلا بالعربية ، وقراءة القرآن عبادة وركن من أركان الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام .

وإن خدمة كتاب الله العزيز والحديث النبوي الشريف اللذين نزلا باللسان العربي المبين ، من أول الأهداف التي يتطلع إليها من استنار قلبه بنور الإيمان . ولهذا عني كثير من العلماء في مختلف العصور بتناول أسلوبه بالدراسات اللغوية بكل مستوياتها ، الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والبلاغية ، والدلالية ، والأسلوبية ، والكتابية . فتتورت دراساتهم بأنوار الكتاب والسنة ، وتعطرت بنفحات شذا أسرارهما ، إذ هما في مضممار الفصاحة والبلاغة يعتليان الذروة ، ويتربعان على القمة . وهما المرجع الصادق الذي يرجع إليه العلماء لمعرفة الصواب والخطأ في قواعدهم ، وقضايهم التي تحدد مصير وحدة الأمة الإسلامية .

إن اللغة العربية تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري ولفظي ممتد من الرسالة المحمدية ومعجزاته الخالدة المتمثلة في نزول القرآن الكريم ، لأن القرآن ليس مجرد مبادئ ، وتعاليم منعزلة عن الظاهر اللفظي ، بل إن إعجاز القرآن منوط باللغة العربية ، وإن اللغة العربية ، بطاقتها وغزارتها وثرائها وتراثها لجديرة بأن تكون وسيلة للتفاهم والترابط بين الشعوب المسلمة في كل مكان وزمان ، وعونا على المحافظة على الوحدة الفكرية والمظهرية بين أفرادها وجماعاتها ، وإن الوحدة الفكرية بين المسلمين كافة ، تؤدي دورا مهما في هذه المرحلة الحرجة الخطيرة التي يمر بها العلم العربي والإسلامي من تمزق وتشتت ، وتنافر وتناحر ، والافتتال بين الطوائف والأحزاب والجماعات للشعب الواحد ، هذا الدور الريادي الذي يعيد الأمة جمعاء إلى جادة الصواب ، من خلال تمسكها بلغتها الرصينة ، وقواعدها الأصلية التي أخذت عن العرب الأقحاح ، أرباب اللغة ، الذين نقلوا لنا اللغة عن طريق الكثرة الكاثرة من كلام العرب قديما وحديثا .

إن دراسة القرآن والحديث تحتاج إلى اللغة العربية لما فيها من معان سامية ، ومفاهيم أصلية . وإذا حاولنا أن نقدم معاني القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية مترجمة إلى اللغات الأجنبية ، فسوف تعوزها الروح الأصلية ، وتسلبها قيمتها التعبيرية والوجدانية ، بل وستفقد النصوص المنوط بها إعجاز القرآن وروعته ، وكذلك غزارة المعاني التي تمتاز بها اللغة العربية . ولذلك صدق من قال : " إذا كان التدريس في الهند باللغة العربية ، نشأ فيها المفسرون والمحدثون ، وإذا صار التدريس باللغة المحلية نشأ فيها المؤولون ومنكرو الحديث " .

أثر عموم البلوى في الحكم على أخبار الآحاد

الأستاذ شعيب الحسيني الندوي *

التوطئة :

لا غنى للأمة الإسلامية عن الدراسات الحديثية لنيل مطلب تحقيق الشريعة ، إذ لا فهم للدين إلا بالاستناد إلى الكتاب والسنة ، والكتاب الحكيم مصدر الإشرافات الربانية والتوجيهات الإلهية ومنبع نور الهداية ، ولكن السنة النبوية نبراس الحياة للأمة ، ومعالِم الطريق نحو تطبيق الشريعة وشرح المجملات من أحكام الكتاب وتبيين المحكمات وتحديد المسارات للأحكام التفصيلية .

الشريعة المطهرة منتقاة من أحاديث الأحكام ، وهي تخضع للقبول والرد على أصول اتخذها المحدثون الأصوليون وجربها الفقهاء المجتهدون ، لا يصح فهم الأحكام واستنباطها إلا بعد سبر هذه الضوابط الحديثية والنظر في المباحث الأصولية وتتبع آراء الأصوليين من الفقهاء والمحدثين في الحكم على الأخبار واستنباط الأحكام منها .

شرح المسألة وتخرّيج مناط البحث :

هذه المسألة بقيت في إطار الغموض والاستشكال ، وتضاربت آراء المتقدمين والمتأخرين من أصحاب المذاهب فيها ، والذي ينبغي التوجه إليه أولاً هو بيان المعنى الاصطلاحي والتأصيل للمسألة .

المعنى الاصطلاحي : ورود حديث آحادي صح سنده فيما يكثر وقوعه ويتكرر حدوثه ويعم التكليف به ويحتاج إلى معرفته الخاص والعام للعمل به ، فوروده آحادا في سياق لا يتصور التفرد فيه يقتضي عدم قبوله .

يجب توضيح الأمر بالفرق بين مسألة خبر الواحد في عموم البلوى ومسألة رفع المشقة عن المكلفين في عموم البلوى ، إذ عموم البلوى قدر مشترك بينهما ، فإن الأولى المعنى الأصولي الحديثي المتعلق بأصول الحديث والفقهِ ، وهي تتعلق بأخبار الآحاد ثبوتاً ، والثانية هي قاعدة فقهية تتعلق بتيسير الأمر على المكلفين لتعسر التحرز منه كما وصفه

* رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية حراء ، منفالور
shoaibalhusaini@gmail.com

السرخسي قائلاً: " وصف مؤثر في الحكم إلى جهة التخفيف " ^١ ، أما الأولى سأعرض لها في هذا البحث وهو موضوعنا ، وأما الثانية فاتفقت كلمة الفقهاء على اعتبارها ، إذا راجعت إلى كتب فقه المذاهب لترى الأمثلة المستفيضة لها متداولة فيها .

هل الاستفاضة شرط لقبول الخبر فيما تعم به البلوى ؟

إذا ورد الخبر في عموم البلوى ولم يشتهر أو لم يتلق بالقبول عند الأمة فهل يبقى الخبر معمولاً به وحجة دون عبء بعموم البلوى أم نفي الشهرة أو التلقي بالقبول ، أم أنه يسبب القدح فيه ويجعله شاذاً غير معمول به ؟

هذا السؤال أصل المسألة الذي تدور حوله عبارات كثير من الفقهاء والأصوليين ، ويتفرع عليه اختلاف ذو شعوب في كثير من المسائل الفقهية ، ولا يعزب عن بالك أن أصل الخلاف راجع إلى خبر يثبت به الوجوب أو الحرمة ، ليس ذاك الخبر الذي يدل على الندب أو الفضيلة لأنه لا ضرورة فيه إلى تركه ، بل يمكن الجمع والتوفيق بين الخبر والمسألة لعموم البلوى فلا يبقى النزاع ، هذا رأي بعض الحنفية ، وقالوا به في تحقيق مناط الحكم ، كما قال ابن الهمام وصاحب التيسير: " قلنا التفاصيل إن كانت رفع اليدين والتسمية والجهر بها ونحوه من السنن " كوضع اليمين على الشمال تحت السرة وإخفاء التأمين (فليس) إثبات ذلك (محل النزاع) إذ النزاع في إثبات الوجوب به ^٢ ، ولكن البعض الآخر من الحنفية لم يحصر النزاع في الوجوب والحظر ، بل جرّه إلى الندب والإباحة والكراهة ، في سائر الأحكام التكليفية ، فيقول صاحب فواتح الرحموت : " واعلم أن الذي يظهر في تحرير المسألة من كتب الكرام أن الخبر الشاذ المروي من واحد أو اثنين فيما عم به البلوى ، وورد مخالفاً لما يعلمه الجماعة ويبتلون به بحيث يكونون لو علموا بالخبر لعملوا به سواء كان الخبر في مباح أو مندوب أو واجب أو محرم ، لم يقبل ولم يعمل به ويكون مردوداً ، ويدل على التعميم تمثيل الإمام فخر الإسلام (البزدوي) بحديث جهر التسمية في الصلاة الجهرية ، وهو من هذا القبيل " ^٣ .

رأي الجمهور في خبر الواحد فيما تعم به البلوى :

الجمهور من الفقهاء ومعظم المحدثين يرون خبر الواحد فيما تعم به

^١ أصول السرخسي ، ١٣٠/٢ .

^٢ التحرير مع شرحه التيسير : ١١٣/٢ (دار الكتب العلمية ، بيروت) .

^٣ فواتح الرحموت للأنصاري ، ١٢٩/٢ .

البلوى حجةً ولا يضر بالخبر - إذا صح - عموم البلوى ، بل إنهم لا يرون هذا التقسيم بين الخبر في عموم البلوى وعدمه صحيحاً ، كل ما صح سنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يكفي حجة ، وإعمال القياس والنظر عند وجود الخبر الصحيح أخذ بالضعيف مع وجود القوي ، يقول القاضي أبو يعلى الحنبلي راداً على ترك خبر الواحد فيما يعم فرضه للكافة : " لأن خبر الواحد أصل القياس ، فإنه منه يستنبط ويتفرع ، فإذا جاز إثبات هذه الأحكام بالقياس مع ضعفه ، كان جواز ذلك بخبر الواحد أولى " ^١ ، وقد يرى بعض الأصوليين من الشافعية تقسيم الخبر فيما يقتضي معرفته إشاعته وفيما لا يقتضيها ، يقول الإمام الجويني وهو يقبل اقتضاء العرف نقلاً متواتراً في بعض القضايا : " كل أمر خطير ذي بال يقتضي العرف نقله إذا وقع تواتراً إذا نقله آحاد فهم يكذبون فيه منسوبون إلى تعمد الكذب أو الزلل ، وقد أجرينا هذا في إدراج أحكام التواتر ووجهنا أسئلة مخيلة وانفصلنا عنها ، وقال أبو حنيفة استناداً إلى ذلك : لا يقبل خبر الواحد فيما يعم به البلوى فإن سبيل ما كان كذلك أن ينقل استفاضة ، ونحن نقول : رد أبو حنيفة أخبار الآحاد في تفاصيل ما يعم به البلوى وأسند مذهبه إلى ذلك وهذا زلل بين ، فإن التفاصيل لا تتوافر الدواعي بها على نقلها توافرها على الكليات فنقل الصلوات الخمس مما يتواتر فأما تفصيلها في الكيفية فلا يقضي العرف بالاستفاضة والدليل القاطع فيه أنه لو كان مما يتواتر لنقل تواتراً فإذا لم ينقل نقيضه مع القطع بأنه لا بد من وقوع أحدهما دل على أن ما ورد خبر الآحاد فيه من قبيل ما لا يجب التواتر فيه على حكم الاعتياد " ^٢ ، وكذا يستدل الجمهور على هذا الموقف بمنهج الصحابة رضي الله عنهم لقبول خبر الآحاد على كل حال .

رأي السادة الحنفية :

أما الحنفية فليس فيه قول واحد لمتقدميهم ومتأخريهم ، وسكت متقدموهم في المسألة ولم يصرحوا فيها برأي ، إنما جل ما ورد في هذا الصدد منسوباً إلى الإمام أبي حنيفة ومحمد في رد الحديث : " إنه شاذ لا يؤخذ به فيما تعم به البلوى " ، كما نقل ابن الهمام في باب الاستسقاء

^١ العدة في أصول الفقه ، إخراج وتحقيق : د . أحمد بن علي المبارك ، ٣ / ٨٨١ (أصل هذا الكتاب رسالة الدكتورة للمحقق) .

^٢ البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق : صلاح بن محمد بن عويضة ، ١ / ٢٥٦ - ٢٥٧ (الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت) .

منسوباً إلى الإمام محمد فيقول : " المروي فيه شاذ فيما تعم به البلوى ، وهو ظاهر جواب الرواية ، فإن عبارته في الكافي الذي هو جمع كلام محمد قال : لا صلاة في الاستسقاء إنما فيه الدعاء ، بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم " أنه خرج ودعا " ، وبلغنا عن عمر رضي الله عنه أنه صعد المنبر فدعا فاستسقى ، ولم يبلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك صلاة إلا حديث واحد شاذ لا يؤخذ به ، انتهى . وهذا صريح من جهة الرواية في علم محمد به ^١ ، وكما نقل السرخسي قول أبي حنيفة في حديث " الناس أكفاء إلا الحائك والحجام " : ولكن أبا حنيفة رحمه الله قال : الحديث شاذ لا يؤخذ به فيما تعم به البلوى ^٢ ، وأقدم تصريح بالمسألة من الحنفية نقل الجصاص قول عيسى ابن أبان حيث يقول : " إن خبر الأحاد يردّ لمعارضة السنة الثابتة إياه ، أو أن يتعلق القرآن بخلافه فيما لا يحتمل المعاني ، أو أن يكون من الأمور العامة ، فيجيب خبر خاص لا تعرفه العامة ، أو يكون شاذاً قد رواه الناس وعملوا بخلافه " ^٣ .

وهذا مذهب عدد من متقدمي الأحناف ومعظم متأخريهم كما قال الكمال ابن همام : " خبر الواحد فيما تعم به البلوى ، أي : يحتاج الكل إليه حاجة متأكدة مع كثرة تكراره ، لا يثبت به وجوب دون اشتهاً أو تلقي الأمة بالقبول عند عامة الحنفية ، منهم الكرخي " ^٤ ، ويذكر أبو بكر الجصاص حكم خبر الواحد فيما تعم به البلوى : " فإنما كان علة لرده من توقيف من النبي عليه السلام الكافة على حكمه ، فيما كان فيه إيجاب أو حظر نعلمه ، بأنهم لا يصلون إلى علمه إلا بتوقيفه ، وإذا أشاعه في الكافة ورد نقله بحسب استفاضته فيهم ، فإذا لم نجده كذلك علمنا : أنه لا يخلو من أن يكون منسوخاً ، أو غير صحيح في الأصل ، ولا يجوز فيما كان هذا وصفه : أن يختص بنقله الأفراد دون الجماعة " ^٥ .

والإمام السرخسي أجاد في هذا الفصل بالتظهير بياناً فيقول : "

^١ فتح القدير لابن الهمام ، ٩١/٢ (دار الفكر) .

^٢ المبسوط للسرخسي ، ٢٥/٢ (دار المعرفة ، بيروت) .

^٣ ١١٣/٣ .

^٤ التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحى الحنفية والشافعية ، لكامل الدين محمد بن عبد الواحد الشهير بابن همام الأسكندري الحنفي ، مع شرحه التيسير لأمير بادشاه الحنفي ، ١١٢/٣ (دار الكتب العلمية) .

^٥ الفصول في الأصول للجصاص ، ٣ / ١١٥ (الطبعة الثانية ، وزارة الأوقاف الكويتية) .

فإذا كانت الحادثة مما تعم به البلوى فالظاهر أن صاحب الشرع لم يترك بيان ذلك للكافة وتعليمهم وأنهم لم يتركوا نقله على وجه الاستفاضة ، فحين لم يشتهر النقل عنهم عرفنا أنه سهو أو منسوخ ، ألا ترى أن المتأخرين لما نقلوه اشتهر فيهم ، فلو كان ثابتاً في المتقدمين لاشتهر أيضاً ، وما تفرد الواحد بنقله مع حاجة العامة إلى معرفته ، ولهذا لم تقبل شهادة الواحد من أهل المصر على رؤية هلال رمضان ، إذا لم يكن بالسما علة ، ولم يقبل قول الوصي فيما يدعي من إنفاق مال عظيم على اليتيم في مدة يسيرة ، وإن كان ذلك محتملاً ، لأن الظاهر يكذبه في ذلك " ١ ، ويعلل الجصاص هذه المسألة قائلاً : قال أصحابنا : ما كان من أحكام الشريعة بالناس حاجة إلى معرفته فسبيل ثبوته الاستفاضة والخبر الموجب للعلم ، وغير جائز إثبات مثله بأخبار الأحاد ، نحو إيجاب الوضوء من مس الذكر ومس المرأة والوضوء مما مست النار والوضوء مع عدم تسمية الله عليه فقالوا : لما كانت البلوى عامة من كافة الناس بهذه الأمور ونظائرها ، فغير جائز أن يكون فيه حكم الله تعالى من طريق التوقيف إلا وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ووقف الكافة عليه ، وإذا عرفته الكافة فغير جائز عليها ترك النقل والاقتصار على ما ينقله الواحد منهم بعد الواحد ؛ لأنهم مأمورون بنقله ، وهم الحجة على ذلك المنقول إليهم ، وغير جائز لها تضييع موضع الحجة ، فعلمنا بذلك أنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم توقيف في هذه الأمور ونظائرها " ٢ ، كذا يستدل أصحاب هذا الرأي برد الرسول صلى الله عليه وسلم خبر ذي اليمين في الصلاة حتى استثبت من الآخرين ، وعمل كبار الصحابة في رد أخبار بعضهم الأحادية خير شاهد لهم .

وأثبت أبو بكر الجصاص أن الأحادية في الخبر الذي ينبغي أن يستفيض علة ، وأخبار الأحاد ترد بالعلل ، ومن العلل ومما يرد به أخبار الأحاد من العلل أن ينا في موجبات أحكام العقول ، لأن العقول حجة لله تعالى ، وغير جائز انقلاب ما دلت عليه وأوجبه . وكل خبر يضافه حجة للعقل فهو فاسد غير مقبول ، وحجة العقل ثابتة صحيحة ، إلا أن يكون الخبر محتملاً لوجه لا يخالف به أحكام العقول ، فيكون محمولاً على ذلك الوجه ٣ .

١ أصول السرخسي ، ١/٣٦٨ .

٢ أحكام القرآن للجصاص ، تحقيق : عبد السلام محمد علي شاهين ، ١/٢٤٦ - ٢٤٧ (الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت) .

٣ الفصول في الأصول ، ٢/١٢١ - ١٢٢ .

اختلاف الأنظار في المسألة بين الفقهاء الأحناف :

إذا تتبع علماء الأحناف في مسألة رد خبر الواحد فيما تعم به البلوى يظهر أنهم ليسوا على كلمة واحدة في المسألة ، بل وضع بعضهم قيوداً لرده ، ولبيان ذلك يمكن أن نجعل مذهب علماء الحنفية على أقسام : من علماء الحنفية من نص على رد خبر الواحد الوارد فيما تعم به البلوى مطلقاً دون قيد أو شرط لقبوله ، لكن إذ اشتهر أو تلقته الأمة بالقبول خرج عن مفهوم خبر الواحد عندهم ، وهو ما نسب إلى الكرخي من متقدميهم وهو مختار المتأخرين منهم^١ . ونص بعض الحنفية على جعل الاشتهار أو تلقي الأمة بالقبول وعدم الخلاف شرطاً لقبول خبر الواحد فيما تعم به البلوى ، فإذا لم يتحقق هذا الشرط فإنه لا يقبل .

هذا القول هو المشهور عن الحنفية ، وهو رأي معظم الفقهاء الأصوليين منهم ، وهو اختيار الشاشي حيث نص على أن خبر الواحد إذا خالفه الظاهر لا يعمل به ، إذا لم يشتهر في الصدر الأول والثاني ، ومثله في الحكميات بحرمة الرضاع ، إذا أخبر واحد أن امرأته حرمت عليه بالرضاع الطارئ جاز أن يعتمد على خبره ويتزوج أختها ، ولو أخبر أن العقد كان باطلاً بحكم الرضاع لا يقبل خبره^٢ .

وهذا القول قريب من القول الأول ، لأنه عند اشتهار خبر الواحد أو تلقي الأمة له بالقبول يخرج عن كونه خبراً واحداً ، ومن ثم يصح العمل به عند الحنفية .

ومن علماء الحنفية من وضع شرطاً لردّ خبر الواحد فيما تعم به البلوى ، وهو أن يكون الحديث دالاً على الوجوب أو التحريم ، فإذا ورد الخبر وبه يثبت حكم الوجوب أو الحرمة فلا يقبل ، أما الفضيلة لعمل أو السنية أو الكراهية له ، فيجوز فيه قبول خبر الواحد ، وممن اختار هذا القول أبو بكر الجصاص^٣ ، وابن همام الإسكندري الحنفي في تحريره^٤ ، ومحب الله بن عبد الشكور البهاري الحنفي^٥ .

^١ كشف الأسرار ، ١٧/٣ .

^٢ أصول الشاشي ، نظام الدين أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (م : ٣٤٤هـ) ص ٢٨٤ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت) .

^٣ الفصول في الأصول ، ١١٦/٣ ، ١٢٢/٣ .

^٤ التحرير مع شرحه تيسير التحرير ، ١١٢/٣ - ١١٣ .

^٥ مسلم الثبوت مع شرحه مسلم الثبوت ، ١٥٨/٢ .

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الموضوع أن اختصاص صحابي بمباشرته سماع الأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم أو مشاركته معه في القصة فيما لا يستدعي إلى الصدع به ، لا يدخل في حدّ عموم البلوى ، وإن كانت حاجة الناس إليه مطردة ، مثل أحاديث مباشرة النساء وأحكام الغسل وإلتهارة بها ، فما ورد من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأحاد قبل من غير نزاع ، لما اختلف الصحابة في الغسل بعد الإيلاج من غير إنزال ، ورأوا الغسل إذا أنزل ، جاءت عائشة رضي الله عنها بقصتها : " إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل ، فعلته أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلنا " ^١ ، فاتفقت كلمة الناس عليها .

الأمثلة :

الوضوء بمس الذكر :

حديث بسرة بنت صفوان رواه أصحاب السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من مسّ ذكره فلا يصلّ حتى يتوضأ " ^٢ ، وثبت عن غير واحد من الصحابة هذا المعنى رفعا ووقفاً ، وإليه ذهب الجمهور أن الوضوء ينتقض بمس الذكر .

لم يأخذ الحنفية بهذا الحديث ، فلم يوجبوا الوضوء على مس الذكر ، وحجتهم في رد هذه الأخبار أنها وردت فيما تعم به البلوى ولم تستفرض ، قال شمس الأئمة السرخسي : " وحديث بسرة لا يكاد يصح فقد قال يحيى بن معين : ثلاث لا يصح فيهن حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها هذا ، وما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا بين يدي كبار الصحابة حتى لم ينقله عنه أحد ، وإنما قاله بين يدي بسرة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها " ^٣ ، ويعل الكاساني حديث بسرة بمخالفته عموم البلوى أو محمولاً على المعنى اللغوي للوضوء : " إنه خبر واحد فيما تعم به البلوى ، فلو ثبت لاشتهر ، ولو ثبت فهو محمول على غسل اليدين ، لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستنجون بالأحجار دون الماء ، فإذا مسوه بأيديهم كانت تتلوث خصوصاً في أيام الصيف فأمر بالغسل لهذا ، والله أعلم " ^٤ .

^١ الترمذي : رقم الحديث ١٠٨ .

^٢ مسند أحمد : ٢٧٢٩٥ ، الترمذي : ٨٢ ، أبو داود : ١٨١ ، النسائي : ٤٤٧ ، ابن ماجه : ٤٧٩ .

^٣ المبسوط ١/٦٦ (دار المعرفة ، بيروت) .

^٤ بدائع الصنائع : ١/٣٠ (الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية) .

وللحنفية حجة بحديث طلق بن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله رجل: أيتوضأ أحدنا إذا مس ذكره؟ قال: "هل هو إلا بضعة منك أو من جسدك" ^١ ، أعل بعض المحدثين هذا الحديث بالضعف والاضطراب وصححه بعضهم ومنهم الطحاوي يقول بعد تخريج الحديث: "فهذا حديث ملازم ، صحيح مستقيم الاسناد ، غير مضطرب في إسناده ولا في متنه" ^٢ .

الوضوء بمس المرأة :

وقس على المثال السابق مس المرأة ، فقد أفتى المالكية والشافعية والحنابلة بانتقاض الوضوء بمس المرأة بالشهوة إلا الشافعية ، فينفون هذا الاشتراط ، ومطلق المساس ينقض عندهم الوضوء ، أما الحنفية فلم يعملوا بما استدل به الجمهور لكون أخبار الأحاد فيما تعم به البلوى ، يقول الجصاص : "والذي يحتج به على الفريقين أنه معلوم عموم البلوى بمس النساء لشهوة ، والبلوى بذلك أعم منها بالبول والغائط ونحوهما ، فلو كان حدثاً لما أدخل النبي صلى الله عليه وسلم الأمة من التوقيف عليه لعموم البلوى به وحاجتهم إلى معرفة حكمه ، ولا جائز في مثله الاقتصار بالتبليغ إلى بعضهم دون بعض ، فلو كان منه توقيف لعرفه عامة الصحابة ، فلما روي عن الجماعة الذين ذكرناهم من الصحابة أنه لا وضوء فيه ، دل على أنه لم يكن منه صلى الله عليه وسلم توقيف لهم عليه ، وعلم أنه لا وضوء فيه" ^٣ .

صفة الإقامة للصلاة :

ثبت عن أنس رضي الله عنه أنه قال : أمر بلالاً أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة ، إلا الإقامة ^٤ .

العمل على هذا الحديث عند الأئمة الثلاثة مع الفروق الجزئية في بعض المواضع ، ويخالفهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله في إيتار الإقامة ، تكون مثل الأذان شفعاً شفعاً عنده ، لأن الأحاديث متعارضة في هذا الباب ، إضافة إلى ترجيح أحاديث شفع الإقامة يرد بعض الحنفية حديث

^١ مسند أحمد : باب بقية حديث طلق بن علي الحنفي ، موطأ مالك برواية محمد : باب الوضوء من مس الذكر ، رقم : ١٣ ، شرح معاني الآثار : باب مس الفرج هل يجب فيه الوضوء أم لا ، رقم : ٤٦١ .

^٢ شرح معاني الآثار : باب مس الفرج هل يجب فيه الوضوء أم لا ، رقم : ٤٦١ .

^٣ أحكام القرآن للجصاص ، ٤٦٣/٢ .

^٤ أخرجه البخاري : رقم : ٦٠٥ ، مسلم : ٢٧٨ ، وغيرهما أصحاب السنن والمسائيد .

الإيتار بأنه شاذ فيما تعم به البلوى فلا حجة فيه ^١ .
صلاة الاستسقاء :

وقع الاختلاف بين الفقهاء في صلاة الاستسقاء أنها مشروعة أم لا ، ذهب الجمهور ، ومنهم صاحباً أبي حنيفة أبو يوسف (رواية بشر عنه) ومحمد إلى مشروعيتها وأثبتوها بالأحاديث الواردة في الباب ، مثل حديث عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه الذي أخرجه الشيخان أنه قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فتوجه إلى القبلة يدعو ، وحول رداءه ، ثم صلى ركعتين جهر فيهما بالقراءة .

اختلف معهم أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله في رواية عنه ، ونفياً مشروعية هذه الصلاة جماعة ، وأصحاب هذا الرأي من الحنفية يستدلون بآيات القرآن الدالة على الاستغفار والدعاء يستجلب به المطر ، وبأحاديث تذكر دعاء النبي للاستسقاء أثناء خطبة الجمعة ودعاء عمر بعم النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الأحاديث التي تصرح بالصلاة وكيفيةها عند الاستسقاء فيقول فيها السرخسي : والأثر الذي نقل أنه صلى فيها صلى الله عليه وسلم شاذ فيما تعم به البلوى ، وما يحتاج الخاص والعام إلى معرفته ، لا يقبل فيه شاذ ، وهذا مما تعم به البلوى في ديارهم ^٢ . وينقل أبو المعالي برهان الدين البخاري سبب رد هذا الأثر : قال في " الكتاب " : عن أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله لم يبلغنا في ذلك صلاة إلا حديث واحد شاذ لا يؤخذ به ، اختلفت النقلة والرواة أنه لأي معنى سمي شاذاً ، منهم من قال : إنما سمي شاذاً ، لأن عمر رضي الله عنه لم يصل في الاستسقاء ، وعلي رضي الله عنه كذلك ، ولو كانت بهذا سنة مشهورة لما خفيت عليهما ، ولا خير في سنة خفيت على عمر وعلي رضي الله عنهما ، ومنهم من قال : إنما سمي شاذاً ، لأنه ورد ونقل في بلية عامة ، والواحد إذا روى حديثاً في بلية عامة يعد ذلك شاذاً ومستكراً منه ^٣ .

تحريم الصيد وقطع الشجر بالمدينة :

جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن إبراهيم حرم مكة ، وإني حرمت المدينة ما بين

^١ المبسوط للسرخسي ، ١٢٩/١ .

^٢ المبسوط للسرخسي ، ٧٧/٢ .

^٣ المحيط البرهاني في الفقه النعماني ، تحقيق : عبد الكريم سامي الجندي ، ١٣٩/٢ الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية .

لابتيها ، لا يقطع شجرها ولا يقتل صيدها " .
أخذ بهذا الحديث وغيره في الباب الجمهور من الفقهاء وقالوا
بحرمة المدينة مثل مكة في الصيد وقطع الشجر ، إلا الجزاء فلا يجب
كما يجب في مكة .

ليس العمل بهذا الحديث عند الحنفية ، فليس للمدينة حرم
كحرم مكة ، فلا يحرم صيدها ولا قطع شجرها ، إلا أنه يسن
ويستحب الاحتراز عن ذلك ، وحجتهم في ذلك ما يقول السرخسي : " وحجتنا
في ذلك ما روي : أن رسول الله أعطى بعض الصبيان بالمدينة طائراً فطار من
يديه فجعل يتأسف على ذلك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يا
أبا عمير ما فعل النغير " اسم ذلك الطير ، وهو طير صغير مثل العصفور ، ولو
كان للصيد في المدينة حرمة الحرم لما ناوله رسول الله صلى الله عليه
وسلم صبياً ، ولأن هذه بقعة يجوز دخولها بغير إحرام فتكون قياس سائر
البلدان بخلاف الحرم فإنه ليس لأحد أن يدخلها إلا محرماً " ^١ .

أما الحديث الذي يجعل المدينة مثل مكة في الحرمة فيجيب
الحنفية لها بأجوبة ، منها : أنه من أخبار الأحاد فيما تعم به البلوى ، ينقل
ابن نجيم الجواب : وأجاب في المحيط عن الأحاديث الصحيحة في أن لها
حرماً أنها من أخبار الأحاد فيما تعم به البلوى ، لأن الشجر للمدينة أمر
تعم به البلوى وخبر الواحد إذا ورد فيما تعم به البلوى لا يقبل إذ لو كان
صحيحاً لاشتهر نقله فيما عم به البلوى ^٢ ، والماوردي الشافعي يذكر هذه
العلة عند الحنفية : أما صيد المدينة فهو على مذهب الشافعي حرام
كصيد الحرم ، وقال أبو حنيفة : صيد المدينة حلال استدلالاً بأن صيد
المدينة مما تعم به البلوى ، وما عم به البلوى يجب أن يكون بيانه منتشرًا
وفي الناس مستفيضاً ، وليس فيه استفاضة ، فلم يصح تحريمه ^٣ .

للمسألة أمثلة كثيرة منثورة في كتب الأصول والفقهاء للحنفية ،
يحسن المراجعة لجمعها إلى أحكام القرآن للجصاص ، والمبسوط
للسرخسي ، وشرح مختصر القدوري .

^١ المبسوط للسرخسي ، ١٠٥/٤ .

^٢ البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، ٤٤/٣ (الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي)

^٣ الحاوي الكبير شرح مختصر المزني ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض - وعادل
أحمد عبد الموجود ، ٣٢٦/٤ - ٣٢٧ (الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية) .

الليث بن سعد :

شيخ الديار المصرية وإمام وقته بلا مدافعة

بقلم : د . خالد خليفة السعد*

أبو الحارث الليث بن سعد (١٧٥هـ) الإمام الحافظ شيخ الإسلام ، كان من سادات أهل زمانه فقهاً وعلماً ، وحفظاً ونبلاً ، وفضلاً وسخاءً . أخذ علمه عن ثلثة من التابعين وتابعي التابعين من أهل مصر ، كيزيد بن أبي حبيب ، وعبيد الله بن أبي جعفر ، وجعفر بن ربيعة ، وعمرو ابن الحارث ، والحارث بن يزيد ، وخالد بن يزيد ، وخير بن نعيم ، وابن هبيرة ، وآخرين لا يُحصون^١ ، حتّى قال عنه أبو إسحاق الشيرازي : " إن علم التابعين من أهل مصر تناهى إلى الليث بن سعد بن عبد الرحمن " ^٢ . كما أخذ علمه عن خلق كثير من أهل الحجاز ، من أشهرهم : ابن شهاب الزهري ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وربيع بن أبي عبد الرحمن ، وعطاء بن أبي رباح ، ونافع مولى ابن عمر ، وأبي الزبير المكي ، وهشام بن عروة ، وابن أبي مليكة^٣ . ولا شك أنّ هذه الوفرة من الشيوخ والعلماء الذين تلقى منهم العلم ، من أهم الأسباب التي أهلته لأن يغدو إمام وقته بلا مدافعة ، كما وصفه أبو يعلى الخليلي^٤ .

إنّ المتتبع لما نقل عن الليث من العلوم ، يلاحظ تفوقه في ثلاثة منها وهي : الفقه ، والحديث ، واللغة العربيّة .

* الأستاذ المشارك بجامعة البحرين .

- ١ انظر : تاريخ بغداد للبغدادي ، ٤/١٣ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ١٣٧/٨ - ١٣٨ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ، ٢٢٤/١ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ، ٤٥٩/٨ - ٤٦٠ ، الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية لابن حجر ، ص ٦٨ - ٧٠ .
- ٢ طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي ، ص ٧٨ ، الرحمة الغيثية ، ص ١٠٠ - ١٠١ .
- ٣ انظر : تاريخ بغداد ، ٤/١٣ ، سير أعلام النبلاء ، ١٣٧/٨ - ١٣٨ ، تذكرة الحفاظ ، ٢٢٤/١ ، تهذيب التهذيب ، ٤٥٩/٨ - ٤٦٠ ، الرحمة الغيثية ، ص ٦٨ - ٧٠ .
- ٤ تهذيب التهذيب ، ٤٦٥/٨ .

ففي العربية كان لغوياً بارعاً ، لقي الخليل بن أحمد الفراهيدي وناظره ، وكانت له تحقيقات لغوية وتفسيرات كثيرة لغريب اللغة ، لو جُمعت لكوّنت للقارئ - كما يقول الدكتور محمد رؤاس قلعه جي - فكرة واضحة عن مدى متانته في اللغة^١ .

فلا غرابة إذن أن نجد من بين خصاله التي عدّها علماء زمانه : أنّه كان عربيّ اللسان ، يحسن النّحو ويحفظ الشّعْر^٢ .

أمّا الحديث فقد اتّفق علماء الجرح والتّعديل على قبول روايته ، وأنّه أحد الذين يؤخذ بقولهم في التّوثيق ، وإليك نماذج من شهادتهم له :
شهادة أحمد بن حنبل : " ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث بن سعد ، لا عمرو بن الحارث ولا أحد " ^٣ ، " ليث بن سعد أحبّ إليّ منهم فيما يروي عن المقبري " ^٤ ، " ليث بن سعد كثير العلم صحيح الحديث " ^٥ ، " الليث ثقة ثبت " ^٦ .

شهادة يحيى بن معين : " الليث عندي أرفع من محمد بن إسحاق " ^٧ ، " حديثه عن نافع صالح ثقة " ^٨ .

شهادة النسائيّ : " أبو الحارث الليث بن سعد المصريّ ثقة " ^٩ .

شهادة عليّ بن المدينيّ : " الليث ثقة ثبت " ^{١٠} .

شهادة أبي زرعة الرّازيّ : " صدوق يحتجّ بحديثه " ^{١١} .

^١ موسوعة فقه الليث بن سعد لمحمد رؤاس قلعه جي ، ص ٣٩ .

^٢ انظر : تاريخ بغداد ، ٧/١٣ ، تذكرة الحفاظ ، ٢٢٦/١ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦٣/٨ ،
^٣ تاريخ بغداد ، ١٢/١٣ ، كتاب الجرح والتّعديل لابن أبي حاتم ، ١٧٩/٧ ، سير
أعلام النبلاء ، ١٥٤/٨ ، تذكرة الحفاظ ، ٢٢٦/١ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦١/٨ ،
الرّحمة الغيثيّة ، ص ٨٢ .

^٤ تاريخ بغداد ، ١٣/١٣ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ، ٤٦١/٨ .

^٥ تاريخ بغداد ، ١٢/١٣ ، كتاب الجرح والتّعديل ، ١٧٩/٧ ، سير أعلام النبلاء ،
١٥٤/٨ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦١/٨ ، الرّحمة الغيثيّة ، ص ٨٢ .

^٦ تاريخ بغداد ، ١٢/١٣ ، سير أعلام النبلاء ، ١٥٤/٨ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦١/٨ .

^٧ تاريخ بغداد ، ١٣/١٣ ، سير أعلام النبلاء ، ١٥٥/٨ ، وانظر : تهذيب
التهذيب ، ٤٦١/٨ - ٤٦٢ .

^٨ تاريخ بغداد ، ١٣/١٣ ، سير أعلام النبلاء ، ١٥٥/٨ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦٢/٨ .

^٩ تاريخ بغداد ، ١٤/١٣ ، سير أعلام النبلاء ، ١٥٥/٨ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦٢/٨ .

^{١٠} كتاب الجرح والتّعديل ، ١٧٩/٧ ، سير أعلام النبلاء ، ١٥٦/٨ ، تهذيب
التهذيب ، ٤٦٢/٨ .

شهادة محمد بن سعد : " وكان ثقة كثير الحديث صحيحه ، وكان قد استقلّ بالفتوى في زمانه بمصر " ^٢ .

شهادة ابن تيمية : " الليث حجة ثبت إمام " ^٣ .

ومما امتاز به الليث في علم الحديث : أنّ روايته كانت بالإسناد العالي . هذا ما قرره الذهبي في " سير أعلام النبلاء " حينما قال : " قد روى الليث إسناداً عالياً في زمانه ، فعنده : عن عطاء عن عائشة ، وعن ابن أبي مليكة عن ابن عباس ، وعن نافع عن ابن عمر ، وعن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وهذا النمط أعلى ما يوجد في زمانه " ^٤ . كما نصوا على أنّ أصحّ أسانيد المصريين وأثبتها : الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر ^٥ .

ورغم ضياع كتب الليث إلا أنّ ما حفظته لنا الكتب والمصنّفات من حديثه قدراً لا بأس به ، وقد صرح الدكتور قلعه جي : " لو تتبعنا ما رواه الليث بن سعد رحمه الله تعالى في كتب الحديث والآثار ، لأمكننا أن نجمع منه مسنداً قيماً " ^٦ .

هذا عدا الكثير من الأحاديث التي كان يرويها من حفظه ممّا ليس في كتبه ، حتّى قيل له : إنّنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك ، فقال : " أو كلّ ما في صدري في كتبي !؟ لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب " ^٧ .

وأما الفقه فقد أجمعوا - كما حكى النووي - على جلالته وإمامته وعلوّ مرتبته فيه ^٨ ، وعده الدكتور قلعه جي من أئمة فقه الرأى ^٩ ، وهذا ما يفسر اهتمام الحنفيّة والمالكيّة بفقهه ، ونقلهم له أكثر من الشافعيّة والحنابليّة

^١ كتاب الجرح والتعديل ، ١٨٠/٧ .

^٢ الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٥١٧/٧ ، سير أعلام النبلاء ، ١٥٥/٨ ، ١٦١ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦١/٨ ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، ٢٨٥/١ .

^٣ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ٣٥٢/١٣ .

^٤ سير أعلام النبلاء ، ١٥٩/٨ .

^٥ تدريب الراوي في شرح تقريب التواوي للسيوطي ، ص ٨٤ .

^٦ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ٤٦ .

^٧ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ، ٣١٩/٧ ، سير أعلام النبلاء ، ١٥٣/٨ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦٣/٨ ، الرحمة الغيثية ، ص ٨٣ .

^٨ تهذيب الأسماء واللغات للنووي ، ٧٤/٢ ، الرحمة الغيثية ، ص ٨٦ .

^٩ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ٤٨ .

وفقه الرأى عند القائلين به لا يعنى إعمال الرأى فى مقابلة النصوص الشرعية الصحيحة الثابتة ، ولكنه يعنى إعمال الرأى فى فهم النصوص الشرعية ومعرفة دلالاتها والعمل بها ، فإذا ثبت أن النص صحيح السند قطعي الدلالة على المراد عندهم لم يعدلوا عنه ليعملوا بالاجتهاد ، ولكنهم يجتهدون فى العمل به ^١ .

لقد تقاربت اجتهادات الليث مع اجتهاد أبي حنيفة ومالك حتى كادت فى بعض الأحيان أن تتماثل ، وحتى أصبح يُعرف قول الإمام منهم من قول الإمام الآخر ، فظنّه من ظنّ أنّه كان حنفيًا ، يقول ابن خلكان : " رأيت فى بعض المجامع أنّ الليث بن سعد كان حنفي المذهب " ^٢ ، ويقول حاجي خليفة : " الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي الحنفي إمام أهل مصر فى الفقه والحديث " ^٣ .

وظنّه البعض الآخر مالكيًا ، يقول عمر رضا كحالة : " الليث ابن سعد محدث فقيه ، من أصحاب مالك بن أنس ، كان يكاتبه ويسأله " ^٤ . والحق أنّ الليث رحمه الله تفقه بمالك ، ولكنه لم يلبث أن تحرر من الالتزام بأقواله ومذهبه وأخذ يختار لنفسه ، وكانت له مسائل تفرد بها ، وخالفه فيها ، يقول ابن النديم : " الليث بن سعد من أصحاب مالك وعلى مذهبه ، ثم اختار لنفسه " ^٥ .

بل إن الليث فاق مالكاً ، وشهد له بهذا التفوق أئمة أعلام كعبد الله بن وهب القرشي المصري – الإمام المحدث الفقيه صاحب مالك والليث والثوري وغيرهم – فحينما قرئت عليه مسألة قال رجل : أحسن والله الليث كأنه يسمع مالكاً يجيب فيجيب هو ، فقال ابن وهب للرجل : " بل كأن مالكاً يسمع الليث يجيب فيجيب هو ، والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أفقه من الليث " ^٦ .

وتفوق الليث على مالك فى الفقه لم يشفع لمذهبه بالبقاء ، فقد

^١ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ٤٩ .

^٢ وفيات الأعيان لابن خلكان ، ١٢٧/٤ .

^٣ كشف الظنون لحاجي خليفة ، ٨٤٢/٥ .

^٤ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، ١٦٢/٨ .

^٥ الفهرست لابن النديم ، ٢٨١/١ .

^٦ وفيات الأعيان ، ١٢٧/٤ ، الرحمة الغيثية ، ص ١٠١ .

ضاع فقه الليث لأن أصحابه لم ينشروه ولم ينشطوا لتدوينه ، ولم يبق منه إلا نقول متفرقة في بطون الكتب ، جمعها الدكتور محمد رؤاس قلعه جي في كتابه : "موسوعة فقه الليث بن سعد" ، وقد صدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت عام ٢٠٠٢م ، وهو الحلقة الخامسة عشر من (سلسلة موسوعات فقه السلف) التي يتولى الدكتور قلعه جي إصدارها تباعاً . يقول الشافعي : "الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به" ، يعني : لم يدونوا فقهه كما دون أصحاب مالك فقهه . وفي رواية : "إلا أن أصحابه ضيعوه" ، أي أضاعوا علمه فضاع مذهبه واندرث . ويقول يحيى بن بكير : "الليث أفقه من مالك ولكن كانت الخطوة لمالك" .^١

ومما يشهد بتفوق الليث على مالك عند الشافعي : ما رآه من حرصه على اتباع الآثار ، وقد صرح هو بذلك حينما قال : "الليث أتبع للأثر من مالك" .^٢

لقد جمع الليث في مذهبه بين الرأي والحديث ، ولم يوافق مالكا في الأخذ بعمل أهل المدينة ، وقد سجل ذلك في رسالة مطولة بعث بها إليه ، وهي تدل على فقه عميق ، وأدب راق ، رد فيها على رسالة مالك التي كان يدعو فيها إلى بعض أصوله ، ومنها (عمل أهل المدينة) الذي كان مالك يبني عليه كثيرا من فقهه ، وكان جواب الليث عليها جواب عالم دقيق النظر ، واسع الأفق ، محكم الدليل ، لا يقل فقهها وبعصرا عن عالم المدينة ، فقد رد ما ذهب إليه ونقضه بالدليل من السنة وعمل الصحابة والتابعين ، ولم يثته عن ذلك ما لمالك من الشهرة والقوة بين الناس في تلك الرسالة كان الليث يأخذ على مالك مبالغته في الأخذ

١ سير أعلام النبلاء ، ١٥٦/٨ ، تذكرة الحفاظ ، ٢٢٤/١ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦٣/٨ ، والليث وإن لم يرق أصحابه بتدوين مذهبه ، إلا أن قوله - كما قرّر ابن تيمية - يوافق قول مالك أو قول الثوري لا يخطئهما ، فاندرج مذهبه تحت مذهبهما ، انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ٣٩٨/٤ .

٢ شذرات الذهب ، ٢٨٥/١ ، الرحمة الغيثية ، ص ٨٤ ، وإذا كان تلاميذه قد أضاعوا علمه فأين ذهبت تصانيفه الكثيرة التي أشار إليها كل من كتب عن الليث ؟ سؤال حيرني ولم أعثر له على جواب .

٣ كتاب الجرح والتعديل ، ١٨٠/٧ ، سير أعلام النبلاء ، ١٥٦/٨ ، تذكرة الحفاظ ، ٢٢٥/١ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦٣/٨ ، شذرات الذهب ، ٢٨٦/١ ، الرحمة الغيثية ، ص ٨٤ .

٤ سير أعلام النبلاء ، ١٥٦/٨ ، تذكرة الحفاظ ، ٢٢٥/١ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦٣/٨ ، حلية الأولياء ، ٣١٩/٧ ، الرحمة الغيثية ، ص ٨٤ .

٥ انظرها في : إعلام الموقعين لابن القيم ، ٩٤/٣ - ١٠٠ .

بعمل أهل المدينة وتركه خبر الآحاد إذا خالف ما هم عليه ، كما أنكر عليه قضاءه بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق ، إلى غير ذلك من المسائل . وعلى الرغم من معارضة الليث لمالك في بعض أصوله وآرائه ، إلا أنه لم يقطع حبل المودة ولا حبل العلم بينه وبينه ، ولم ينقطع عن الحوار معه في معضلات المسائل والاستتناس برأيه فيها ، وظلت الرسائل بينهما متواصلة يطمئن فيها كل منهما على الآخر ، ويعرض ما وصل إليه اجتهاده في تلك المسائل . وكذلك ظل الإمام مالك ينوّه بالليث في كتبه ، ويعبّر عن رضاه عن طريقته وعلمه ، حتى قال ابن وهب : " كل ما كان في كتب مالك : وأخبرني من أَرْضَى مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَهُوَ الْلَيْثُ بْنُ سَعْدٍ " ^١ .
ومن مناقب هذا الإمام :

(١) أنه كان لا يقف عند الألفاظ ، بل يتجاوزها إلى المقاصد ، كما أنه لا يكتفي - في كثير من الأحيان - بذكر الأحكام مجردة وإنما يسوق معها عللها ، ومن أمثلة ذلك :
(أ) أنه يرى أن كل ما أضرّ بالسوق يُمنع احتكاره ، طعاماً كان أو دواءً أو كساءً أو غير ذلك ، فإن لم يضرّ بالسوق فلا بأس ^٢ .
(ب) ويقول : أكره أن يقبل الدائن هدية الغريم أو يأكل عنده لما في ذلك من شبهة الربا ^٣ .
(ت) ويقول : لا بأس بالحجارة في اللحد لئلا ينهار القبر على الميت ^٤ .
(ث) ويرى أن الشهيد لا يُغسل ولا يُصلى عليه ، لأن الله تعالى أكرمه بالشهادة فاستغني بها عن الناس ^٥ .
(٢) وكان مبدعاً في استنباطاته الفقهية ، ومن أمثلته :
(أ) أنه يرى أن الرباط أفضل من صلاة التطوع لأن الرباط فرض على الكفاية ^٦ .
(ب) ويرى أن الحامل إذا خافت على جنينها أفطرت وليس عليها

^١ تاريخ بغداد ، ٨/١٣ ، سير أعلام النبلاء ، ١٤٧/٨ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦٢/٨ ، الرحمة الغيثية ، ص ٨٣ .

^٢ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ٨٩ .

^٣ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ١٥٨ .

^٤ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ٤٣٩ .

^٥ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ٣٥٥ .

^٦ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ٢٦٤ .

غير قضاء ما أفطرت - أي ليس عليها فدية - لأن الحمل متصل بالحامل فالخوف عليه كالخوف على بعض أعضاء أمه^١.

(ت) ويرى أن متعة الطلاق مستحبة وليست بواجبة لأن الله تعالى يقول في (سورة البقرة: ٢٣٦): (وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) فخص المحسنين بها ، فدل ذلك على أنها على سبيل الإحسان والتفضل لا الإيجاب^٢.

(ث) وهو يرى أن أقل الكثير اثنان وسبعون ، لأن الله تعالى يقول في (سورة التوبة: ٢٥): (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) وكانت غزواته عليه الصلاة والسلام اثنین وسبعین ، ولهذا لو قال : لفلان علي مال كثير أو عظيم أو جليل ، لم يقبل تفسيره لأقل من اثنین وسبعین^٣.

(٣) كما كان قوي الحجّة في مناظراته وحواراته ، حتّى قال عنه عبد العزيز بن محمد الدراوردي : " لقد رأيت الليث وإن ربيعة ويحيى بن سعيد ليتزحزون له زحزحة"^٤ ، وفي لفظ : " رأيت الليث بن سعد عند ربيعة يُناظرهم في المسائل ، وقد فرّفر أهل الحلقة "^٥ يعني : كسرهم وغلبهم بحجته وقوة عارضته وبراعة استدلاله .

وقال أحمد بن صالح : " أعضلت الرّشيد مسألة فجمع لها فقهاء الأرض ، حتّى أشخص الليث فأخرجه منها "^٦.

ونظراً لما امتاز به الإمام الليث من علم وفقه ، كان من الأمور التي أبدى الشافعي تأسّفه عليها : فواته الأخذ عنه والتّلمذ عليه ، حتّى قال صاحبه يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي يقول : " ما فاتني أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث ... "^٧.

رحمه الله تعالى ورضي عنه ، وجزاه عن العلم وأهله خيراً .

^١ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ٢٢٧ .

^٢ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ٤٧٧ .

^٣ موسوعة فقه الليث بن سعد ، ص ٤٥٥ .

^٤ سير أعلام النبلاء ، ١٦١/٨ .

^٥ تاريخ بغداد ، ٦/١٣ ، سير أعلام النبلاء ، ١٤٦/٨ ، تهذيب التهذيب ، ٤٦٢/٨ .

^٦ سير أعلام النبلاء ، ١٥٩/٨ .

^٧ تهذيب التهذيب ، ٤٦٣/٨ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ، ٢٢٤/١ .

الإخلاص وأثره في الحياة الإنسانية

الأخ عبد المنان بن عبد القادر*

إن الإخلاص من أعظم أعمال القلوب منزلةً ، وأرفعها درجةً ، وأثبتها أصلاً ، وأعلاها فرعاً ، وأدناها قطوفاً ، وأكثرها تأثيراً ، وأحوزها رضا الله ، وأسرعها إجابة عنده ، وأحبها إليه ، وأدومها بقاءً إذا صدر عن عاطفة دينية ، وأعجلها انفلاتاً إذا ترك التعهد له بالرعاية .

ولقد سمي الله سورة بكاملها بـ "الإخلاص" لأهميته ، وهو أول اثنين لا يقبل الله عملاً من دونه ، وأكد سبحانه وتعالى عليه ، ورغب فيه ، وحذر من إغفاله في أي عمل يرجى منه ثواب الله ورضاه في الدار الآخرة ، فيذهب سدىً ، ولا يجدي شيئاً ، فيكون صاحبه كمن صاح في وادٍ ، أو نفخ في رماد ، فلا يفيد من ذلك أمراً ، ولا يحرك ساكناً ، ولا يقطع فتيلاً .

وإذا كان الإخلاص بهذه المنزلة من القبول ، كفى دليلاً على فضل التحلي به ، وحافزاً على التخلق به ، وحافظاً من انطواء النفس على البغضاء والشحناء ، وطلب السمعة ، والرياء ، ومبعداً عن الحسد يعقبه ما يعقبه مما يبلغ بالحاسد إلى ما لا تقدر عاقبته ، ويتجلى الإخلاص في كل كلمة ينطق بها المخلص ، وكل عمل يؤديه ، وحركة يتحركها ، وسكته يسكتها ، ونظرة ينظرها ، حتى في فكرة يفكر فيها ، وعبرة يعتبرها ، ويلوح ذلك في العمل كباقي الوشم في ظاهر اليد ، وهذا إلى ما يسبغ الله على عمل المخلص من البقاء ، والدوام ، والقبول العام .

وها هو الإمام مالك رحمه الله يسأل عن سبب تأليف كتابه "الموطأ" مع كثرة ما صنّف في الحديث ، فيقول : ما كان لله يبقى ، وما كان لغيره يفنى ويبلى .

وكان السلف من قديم معنيين بهذا العمل أشد العناية ، ومتحريين له في جميع حركاتهم وسكناتهم ، وما إن أحسوا حيناً بخلو أعمالهم من الإخلاص حتى تداركوه بأسرع ما يمكن ، وبه كانوا يقدرّون على شيء ويقومونه ، وكانت الدنيا بحذاقيرها في أعينهم بجانب هذا العمل ككفة حابل أو أفحوص قطاة ، وكل عمل من دونه منظر ولا مخبر ، وزواء في العين ولا شيء في اليدين .

اللهم وفقنا للإخلاص . آمين

* قسم التكميل في الأدب ، بدار العلوم لندوة العلماء .

الاتجاه المتنامي للكراهية مصدر الفساد في العالم

محمد فرمان الندوي

موجة العداة والكراهية من الإسلام تتصاعد في هذه الآونة الأخيرة على الصعيد العالمي ، وتظهر آثارها على المجتمعات الإنسانية بشكل مرّوع ، وأحياناً تأتي هذه الموجة على الأسر والبيوت ، وتسبب خسارات فادحة ، وكلما ازدادت هذه الموجة كانت نذير خطر ، ومعمل هدم وتخريب ، لا وسيلة بناء وعمارة ، لأن منشأ هذه العواطف النفس الأمارة بالسوء ، ومصدر الحب والوفاء هو النفس المطمئنة ، التي تتال لفتهً ربانيةً كل حين وأن .

الكراهية تُحدث الكراهية :

فالكراهية من الإسلام ليست وليدة يوم وليلة ، وليست نبتةً بريّةً أو حشائش شيطانية ، تثبت من دون سماء أو رقابة ، وليست عصا سحرية نجمت وظهّرت من سحر الساحرين أو المشعوذين على أرض الواقع كملح البرق أو هو أقرب ، بل لها جذور وأصول ترجع إلى فجر التاريخ الإنساني ، فكان هناك الرفض والإنكار من طاووس الملائكة ، فطرده الله إلى النار للأبد ، فكان شياطين الإنس والجن في زمان وكلاء لهذه الفكرة الإلحادية ، وبدؤوا يكثفون جهودهم لترويج هذه البضاعة المزجاة ، وقد اكتشفوا في القرن العشرين مصطلحاً جديداً ، يعرف بالإسلامفوبيا Islam phobia (النفور والكراهية من الإسلام) ، وكلمة " فوبيا " في القواميس العربية : " خوف وسواسي ، لا معقول له من شيء ما " ، وقد نال هذا المصطلح رواجاً عاماً بعد الحادي عشر من شهر سبتمبر عام ٢٠٠١م ، وقامت جبهة مثثة ، تكونت من اليهودية والنصرانية والوثنية

ضد الإسلام ، ونشط لها أدعيائها وزعمائها ، وبدؤوا يبذرون بذور
العداوة والبغضاء في القلوب ، حتى قال الرئيس الأمريكي جورج دبليو
بوش بعد هجمات الحادي عشر من شهر سبتمبر : نحن نبدأ حرباً صليبيةً
(Crusade) من جديد ، واختلقوا لها أسماء ومسميات ، ونحتوا لها حياً
وتدابير مأكرة كانت وبالأعلى وجودهم .

ظهرت نتائج هذه المحاولات في البلدان الغربية أولاً ، فكان الخوف
والذعر والدهشة من الإسلام يسود كل مواطن من مواطني أوروبا ، وبدأ
يتعرض الناس بالهجوم المبالغ في المطارات والقطارات والشوارع العامة ،
وجعلوا يسيئون إلى القرآن الكريم ، وذات الرسول صلى الله عليه وسلم ،
كما يصنعون صوراً كاريكاتيريةً ، جرحاً لمشاعر المسلمين ، ومما زاد
الأمر تفاقم أن الإعلام الغربي أشعل فتيل هذه المحاولات ، وأصبحت وقوداً
وزيتاً لها ، وجعل يخالط الحابل بالنابل ، والصحيح بالسقيم ، فكانت
الكراهية والنفور من المسلمين على قدم وساق ، وكان لها دوي وصدي
على جميع المستويات ، لكن كما يقول المثل العربي : " رب ضارة نافعة " .
قام رجال غياري من أوروبا وأمريكا ، ودرسوا الموضوع دراسةً واعيةً ،
وتعمقوا في ثنايا هذه الدعايات الجوفاء ، فأعجبوا بتعاليم السلام ، وبدأوا
يعتقدون بالإسلام ويدخلون في الإسلام أفواجاً من الرجال والنساء ،
والفقراء والأثرياء ، ولا تزال تطبع أنباء موجة الهداية والرشاد إلى الإسلام
في الصحف والمجلات العالمية ، وتنتشر عبر وسائل وأجهزة الإعلام ، ونشأت
اتجاهات إيجابية للإسلام والمسلمين ، حتى نشأ فيهم مارتن لوثر (Martin
Luther King Jr) ، فإنه استنكر هذه الفكرة الزائفة ، وقال قولته
البليغة : Hate Breed Hate (الكراهية تُحدث الكراهية) .

الإنسانية أقوى من الكراهية :

ومن أبرز أمثلة الإسلامفوبيا قتل خمسين مصلياً يوم الجمعة في

مسجد النور بمدينة كرايستشيرش في جنوب نيوزيلندا في الخامس عشر من شهر مارس عام ٢٠١٩م ، وكان هذا الهجوم من أحد المسيحيين الشباب الذي أوقع خمسين شهيداً من المصلين ، وجرح عشرات منهم ، واعتبرته رئيسة الوزراء جاسندا آردن عملية إرهابية ، هذا الواقع كان موجعاً ومفجعاً ، بحيث جعل اليوم الخامس عشر من مارس كل عام رمزاً وشعاراً لرفع الإسلامفوبيا من العالم ، وسمي ذلك اليوم اليوم العالمي لمكافحة كراهية الإسلام ، وقد دعا الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيوغوتيريش إلى التمسك بقيم المساواة والكرامة ، وقال : الإنسانية أقوى من الكراهية ، وأكد قائلاً أن ظاهرة التعصب ضد المسلمين تنتمي ، وهي تتجسد في إجراءات التصنيف العنصري ، والسياسيات التمييزية المنتهكة لحقوق الإنسان وكرامته ، والعنف ضد الأفراد ودور العبادة .

ومما يستغرب أن الهند قد نشأت فيها فئات وجماعات تركز على العصبية الدينية ، وتجعلها ذريعةً للتوصل إلى السياسات المغرضة ، فكانت تحاول منذ مدة فرض قيود وعوائق على شعائر الإسلام ومقدساته ، وقد ظهرت كراهيتها من الإسلام أنها قد قدمت مشروعاً نحو الأراضي الوقفية ، وتستهدف بهذا المشروع السيطرة الكاملة على هذه الأراضي الوقفية من المساجد والمدارس والمقابر والمقدسات الدينية ، رغم أن الوقف في الهند ظل موجوداً منذ العهود الإسلامية ، وحينما استولى الاحتلال الإنجليزي على الهند ، وأرادت أن تحتكر هذه الأراضي احتكاراً كاملاً ، فتظاهر ضد ذلك المسلمون طول الهند وعرضها ، واحتجوا احتجاجات موسعة ، حتى اضطرت الحكومة إلى إبقاء هذه الأراضي على حالتها السابقة ، وذلك في سنة ١٩٣٧م ، وجرت بعد تحرير الهند من أيدي الإنجليز تعديلات في قانون الوقف أمثال تعديلات ١٩٩٥م ، لكنها كانت في صالح الأراضي الوقفية ، أما المشروع الجديد الذي جاءت به الحكومة

الحالية في الهند تخالف بنوده قانون الشريعة الإسلامية في الوقف .

علامة فارقة للكراهية :

ومن المفارقات العجيبة أن المشروع الحالي يجعل الأراضي الوقفية ملكاً لجماعة أو فرد ورئيس بلدية ، رغم أن القانون الإسلامي يقول : إن الوقف لا يُباع ولا يُوهب ولا يُشترى ، ويكون ملكاً لله ، والمشروع الحالي لا يسمح بإطلاق الوقف شفويًا ، رغم القانون الإسلامي يقول : يجوز أن يقف الواقف أراضيه شفويًا ، والمشروع الحالي يبين أنه لا بد للواقف أن يكون مسلمًا منذ خمس سنوات ، فلا يجوز للمسلم الذي اعتنق بالإسلام قبل سنة أن يقف أرضه لله ، رغم أن القانون الإسلامي لا يلزم الواقف بمثل هذه الشروط والقيود ، والمشروع الحالي يسمح بتعيين عضوين من غير المسلمين في لجنة الوقف ، والقانون الإسلامي يفرض أن يكون جميع أعضاء لجنة الوقف مسلمين مؤمنين بالله ، وقد بدأت هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند حملةً كبيرةً ضد هذا المشروع ، فقد أرسلت من قبل آراء المسلمين إلى الحكومة إلكترونيًا ، وبدأت الآن نظام المظاهرات والاحتجاجات ، وهي أقوى طريق للحصول على الحقوق في البلدان الجمهورية ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

إن تنامي اتجاه الكراهية والنفور من الإسلام هو مصدر الفساد في العالم ، بذلك تتوتر العلاقات ، وتقل نسبة الحب والألفة التي أودعها الله تعالى في قلب كل إنسان ، وقد سمي الإنسان إنساناً لألفته ، ومشاطرة أحزان أخيه وعشيرته ، فالحاجة إلى أن تزول هذه العوائق والحواجز لتنامي الكراهية ، ولا يمكن إلا باللقاءات المتكررة ، والزيارات المتبادلة ، وتطبيق ما وضع الإسلام من نظام الاجتماع والمودة والمناسحة على المجتمع الإنساني ، وغض البصر عن مواضع الضعف وسقطات البشر ، قال الله تعالى : (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران : ١٠٣] .

(١) مع القرآن الكريم : نظرات وتأملات

للإمام السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي

مدير التحرير

الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله من أفاض الأعلام وفضاحل العلماء ، الذين قلما يجود الزمان بأمثالهم ، فإنه جمع بين علوم القرآن والحديث والفقه الإسلامي ، والدراسات المعاصرة ، وقد رزقه الله فهما عميقا لمعاني القرآن الكريم ، وكان جُل اعتماده في جميع الإنجازات العلمية والدينية على القرآن الكريم ، فكان رجلا قرآنيا كما أشار إليه العلامة يوسف القرضاوي ، بدأت صلته بالقرآن الكريم من والدته خير النساء رحمها الله ، فإنها غرست بذرة حب القرآن في قلبه ، ثم نال هذا الذوق القرآني من أساتذته الأجلاء الشيخ خليل عرب ، والشيخ المفسر أحمد علي اللاهوري ، والعلامة السيد سليمان الندوي ، وخاصة معرفته باللغة العربية ، فكان يقول : " إن منبع جميع كتاباتي ومؤلفاتي القرآن الكريم " .

قام الإمام الندوي بتدريس مادة القرآن الكريم في دار العلوم لندوة العلماء عشر سنوات ، وألقى دروس القرآن الكريم في مركز الدعوة والتبليغ في لکناؤ ، كما ألف كتابات ومؤلفات حول القرآن : النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ، وتأملات في سورة الكهف ، وتأملات في السور ، والمدخل إلى الدراسات القرآنية ، أضف إلى ذلك محاضراته الدعوية وخطبه الإيمانية في الحفلات العامة ، فإنه كان يبدها بأي آية من آيات القرآن الكريم التي تتلى أمامه ، فيأتي في ضوئها بنكت ونوادير لم يصل إليها كثير من كبار المفسرين .

كانت هذه النكت والنوادير التفسيرية مبعثرة في شتى المواضع من كتبه ، إذ اعتنى الأخ العزيز رسال الدين الحقاني بجمعها وتدوينها تحت إشراف الداعية الشيخ السيد عبد الله الحسيني الندوي رحمه الله ، في مجلدين ، قبل مدة ، فكانت الحاجة إلى أن تنقل هذه النكت التفسيرية إلى العربية ، ليطلع عليها إخواننا العرب ، والمعنيون باللغة العربية ، وقد حمل هذه المسؤولية أخونا العزيز الأستاذ طارق الأكرمي الندوي من بلدة بهتكل بجنوبي الهند ، وهو مترجم قدير ، وشاعر عربي ، يكتب

بالعربية بأسلوب بليغ سائغ للقراء ، وقد نقل الكتاب إلى الإنجليزية من قبل البروفيسور عبد الرحيم القدوائى من علي جراه ، وقد أشاد الرئيس العام لندوة العلماء الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسنى الندوى حفظه الله بالتعريب في مقدمته ، وشكره على هذا الإنجاز العلمى في مقدمته - والشكر موصول للأستاذ عماد الدين دولة صاحب دار القلم بدمشق ، الذى لا يزال يعتنى بطبع ونشر مؤلفات الإمام الندوى تعميماً للفائدة ، ونشراً لرسالة الإسلام إلى من لا يعرفها - ويغطي الكتاب حوالي ثلاث مائة صفحة ، من القطع المتوسط ، وهو طبعته الأولى ، فهو تحفة قرآنية نادرة إلى الإخوة العرب ، تقبل الله هذا الجهد التفسيري ، وأكرم نزل الإمام الندوى رحمه الله ، وجعله في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وجزى المترجم والمعرب والناشر خيراً الجزاء ، ووفقه لمزيد من الأعمال العلمية والدينية .

(٢) الإسلام في عيون الغرب

للبروفيسور عبد الرحيم القدوائى

البروفيسور عبد الرحيم القدوائى أستاذ جليل ، وكاتب قدير ، ومترجم ضليع ، وعالم أكاديمي ، وهو من مواليد ١٩٥٦م ، وينتمي إلى أسرة العالم المفسر الشيخ عبد الماجد الدرايبادي رحمه الله ، ودرس في جامعة علي جراه الإسلامية ، ونال منها شهادة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي ، وحصل كذلك على الدكتوراه الثانية من جامعة لستر في إنجلترا ، فيقضي شهوراً في لستر كأستاذ زائر ، ويتقلد الآن منصب مدير مركز خليك أحمد النظامي للدراسات القرآنية بجامعة علي جراه ، وهو عضو في الهيئة التنفيذية لندوة العلماء ، وقد كتب حوالي ٢٥٠ مقالة ودراسة علمية ، كما صدرت له ٣٥ كتاباً ، يحتوي على الدراسات القرآنية والدراسات الإسلامية ، والأدب الإنجليزي والأردني ، وقد لخص تفسير العلامة الدرايبادي بالإنجليزية في مجلد واحد ، وطبع من مؤسسة الصدق بلكنائ ، عام ٢٠٠٧م ، كما ترجم القرآن الكريم باللغة الإنجليزية باسم : What is in the Quran وطبعت هذه الترجمة من ويوا بكسي بدھلي ، كما نشر مجمع الملك فهد بن عبد العزيز بالمدينة المنورة دراسة علمية له بعنوان ببلوجرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية من ١٦٤٩م إلى ٢٠٠٢م ، ومن مزايا مؤلف الكتاب أنه عاش ولا

يزال يعيش في أتون الحضارة الغربية ، لكن لم تؤثر فيه هذه الحضارة الخادعة ، فهو ليس ملتزماً بشعاره وثقافته الإسلامية فحسب ، بل هو لسان حالها وترجمانها ، وقد تقبل الله تعالى جهاده العلمي والديني فإنه حينما انتخب مديراً لمركز خليك أحمد النظامي للدراسات القرآنية أشرف على إعداد مكتبة قرآنية بكاملها وتحليلتها بالطباعة والنشر ، وهذه المكتبة تشتمل على مائة كتاب .

والكتاب (الإسلام في عيون الغرب) كما يتجلى من عنوانه يفند الافتراءات والأكاذيب التي يختلقها المستشرقون ضد الإسلام والقرآن ، والفقهاء الإسلامي والسيرة النبوية والأدب الإنجليزي ، ودرس المؤلف كتابات المستشرقين بدقة وإمعان ، واطلع على مواضع الضعف وإثارة شبهات فيها ، فأبرزها إلى الظهور ، وكتب لها ردوداً مقنعة ، وأجوبة شافية ، وكل ذلك في ضوء الدلائل الساطعة ، والتحليلات العميقة ، ومما يتميز به مؤلف الكتاب أنه اكتشف لأول مرة ضعف ترجمة عبد الله يوسف علي للقرآن الكريم ، وأشار إلى أخطائها وسوءاتها ، وكانت الترجمة تطبع وتوزع من مجمع الملك فهد بن عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية ، فأرسل المؤلف هذه الأخطاء إلى مسئول المجمع ، فوافقوا عليها ، حتى توقف طبع ترجمة عبد الله يوسف علي ، ثم طبع بعد سنوات بحذف الأخطاء الواردة في الترجمة ، هذه هي الترجمة الناقصة التي تناولها القضاة الهنود في قضية نفقة المطلقة ، فأصدروا قراراً ضد الشريعة الإسلامية .

فالكتاب دراسة نقدية لكتابات المستشرقين ، الذين دسوا السموم في تحقيقاتهم وبحوثهم ، وقلبوا الحقائق والميزان ، وأرادوا أن يقللوا من قيمة الإسلام وتأثيره في المجتمع ، لكن هيهات أن تتحقق أهدافهم وغاياتهم ، وقد خاض في هذا الموضوع كثير من العلماء المسلمين ، وقدموا دراساتهم النقدية ، لكن كانت باللغة العربية والأردية ، فلم يطلع المستشرقون على نقد خياناتهم وتدليساتهم ، وقد انبرى البروفيسور عبد الرحيم القدوائي من بين صفوف العلماء ، فرد على تفوهات وأقاويل المستشرقين بلسانهم ولغتهم الفصيحة ، حتى اضطروا إلى مراجعة آرائهم . وكانت هذه المقالات بالأردية والإنجليزية ، ونشرت في المجالات البحثية في الهند وباكستان فجمعها الأستاذ رفيق أحمد رئيس السلفي عضو المركز ، وقام بتعريبه الدكتور محمود عبد الرب مرزا بلغة

فصيحة ، وقد قدم للكتاب الأستاذ راشد حسن المباركفوري (الأستاذ بالجامعة الإسلامية فيض عام بمئو) ، وكتب عن المؤلف حفظه الله : إنه من الباحثين المتقنين والتمكنين من اللغة الإنجليزية ، وهو يحمل في قلبه عاطفة للذب عن حياض الإسلام والدفاع عنه ، بكل ما يملك من قوة علمية وأكاديمية .

وإلى القراء الكرام بعض عناوين الكتاب : (١) الدراسات القرآنية لبعض علماء الغرب خلال القرن الحادي والعشرين الميلادي ، (٢) كوربوس قرآنيكوم : الجبهة العلمية الحديثة للمستشرقين ذات الصلة بالدراسات القرآنية ، (٣) تحليل نقدي لترجمات القرآن الكريم الإنجليزية ، (٤) مؤلفات المستشرقين حول السيرة النبوية العطرة . وطبع الكتاب من دار الدواة للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، بيروت ، ١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م ، وهو هدية ثمينة ، وكنز علمي ، إلى قراء اللغة العربية الذين يجدون في أنفسهم عاطفة للدفاع عن الإسلام ، ودحض أباطيل المستشرقين وترهاتهم وخزعبلاتهم ، جزى الله خيراً المؤلف حفظه الله ، والمرتب والمغرب والمقدم والناشر ، وبارك في أعمالهم وجهودهم ، وقد وصل الكتاب إلى مكتب المجلة بواسطة الأستاذ الفاضل نعيم الرحمن الصديقي الندوي رئيس مؤسسة الصدق بلكناؤ ، فله الشكر الجزيل .

(٣) العلامة الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي : الفقيه الألمعي ،

والقاضي الحكيم

بقلم الأستاذ الدكتور محمد رحمة الله حافظ الندوي

" لو قامت الحكومة الإسلامية لبلغ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي أعلى منصب القضاء فيها " هذا ما قاله العالم الكبير ، والمحقق الشهير ، ومحدث الديار الهندية الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله ، وكان العلامة الإمام السيد أبو الحسن علي الحسن الندوي رحمه الله يقول : " من حسن حظ هيئة الأحوال الشخصية لمسلمي الهند أن الله قبض لها شخصية نابغة ، وعالماً مدبراً ، وفقهياً حكيماً مثل الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي ، وهو بمنزلة ثروة قيمة لمسلمين الهند " .

هاتان الشهاداتتان كافيتان لبيان فضل ومكانة القاضي مجاهد الإسلام القاسمي لدى الخاصة والعامة ، فلا شك أنه كان رجلاً في أمة ،

وأمةً في رجل ، جمع الله فيه من المواهب القيادية والخصائص الريادية ، والمزايا العلمية التي قلما توجد في شخصية علمية ، وعاش الشيخ القاسمي حياته قاضياً ، بل رئيس القضاة في الإمارة الشرعية بولاية بهار وأريسه وجارخند (الهند) ، وعمل بإخلاص النية ، وطهارة السريرة حتى جعل الله له القبول في أرجاء الهند ، فوفقه لإنشاء مجمع الفقه الإسلامي لعموم الهند ، وهو منبر فقهي للاجتهد والدراية في القضايا المستجدة ، ولا يزال يعمل باستمرار وفقاً للمناهج التي رسمها القاضي القاسمي رحمه الله ، كما أنشأ القاضي القاسمي المجلس الملي لعموم الهند في مجال السياسة ، وله دور بارز ملموس في السياسات البرلمانية والإقليمية ، وفي آخر حياته انتخب رئيساً لهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، فكان قائداً محنكاً ، ورائداً حكيماً ، ظل يقود الأمة الهندية بالحكمة والجرأة إلى آخر نفس من حياته .

وهذا ، وله إنجازات في مجال التصنيف والتأليف ، وفي مجال تصنيف الرجال وكوادر الدعوة والإصلاح ، وفي مجال إصلاح المجتمعات الإنسانية ، وفي مجال إنشاء المعهد العالي للقضاء والإفتاء ، وهي جوانب مشرقة لحياته ، فكانت الحاجة ماسة إلى التعريف بهذه الشخصية العبقرية بالعربية ، فنهض لهذا العمل الجليل المؤلف والمحقق الأستاذ الدكتور محمد رحمة الله حافظ الندوي (نزيل الدوحة ، قطر) لتأليف هذه الوثيقة العلمية والتاريخية ، فأدى حقها وأوفأها ، وقد قرّط عمله هذا علماء العرب والعجم الذين ازدان بكلماتهم هذا الكتاب ، يقول الشيخ نظام يعقوبي العباسي الشافعي البحريني : جزى الله أخانا المؤلف الفاضل خير الجزاء على هذا الجهد التوثيقي المهم ، ومن ترجم عالماً فكأنما أحياه من قبره ، وقديماً قيل : فالذكر للإنسان عمر ثان ، ويكتب الشيخ بدر الحسن القاسمي : هذا الكتاب بأسلوب شيق وتوثيق علمي مطلوب ، وصاحب الكتاب يستحق كل ثناء وتقدير على تأليف هذا الكتاب القيم ، وهو صاحب خبرة في التأليف ، ويقول الشيخ خالد سيف الله الرحماني : إنني كفرد من أفراد أسرة الشيخ القاسمي أشكر المؤلف وأبتهل إلى الله تعالى أن يتقبل منه هذا الجهد المبارك وينفع به البلاد والعباد .

قصة الكتاب كما يحكيها مؤلفه ، وهي أن أسرة المؤلف ظلت مرتبطة بالقاضي القاسمي ، فكان المؤلف له علاقة قوية بالشيخ القاسمي ، وكانت له توجيهات ونصائح في مواصلة الدراسة والتعليم ،

وقد نقل مقالاً له زمن دراسته في دار العلوم لندوة العلماء ، إلى العربية باسم : سد الذرائع : مبحث مهم في أصول الفقه الإسلامي ، فطبع في مجلة البعث الإسلامي ، فتوطدت العلاقة ، وانتقلت إلى حب وشفقة منه ، حتى رافق المؤلف القاضي القاسمي في حله وترحاله ، واستفاد من درره ومرجانه ، وكان اقتراح عم المؤلف الشيخ محمد قاسم المظفر فوري ، ووصيته بإعداد سفر عظيم حول أعمال وجود القاضي القاسمي رحمه الله ، فجاء هذا الكتاب تحقيقاً لأغراض دينية خالصة ، وطبع الكتاب من دارالقلم دمشق ١٤٤٥ هـ .

اشتمل الكتاب على ثلاث مائة صفحة من القطع الكبير ، تحدث الباحث أولاً عن ولاية بهار وتاريخها الصحيح ، ثم ذكر السيرة الذاتية وحياته العلمية والعملية ، وتناول في الباب الثاني أعمال القاضي التجديدية وخدماته المشرقة ، ثم ذكر المؤلف في الباب الثالث مآثره العلمية ، وأوسمته وجوائزه ، ومع ذلك يوجد ملحق خاص بتراجم كبار العلماء من معاصري الشيخ القاسمي ، وذكر المؤلف في آخر الكتاب قائمة مراجعه ومصادره التي استفاد منها وانتقى منها المواد ، وهي تدل على جهده المضني ، وسعيه الدؤوب ، وعمله المرهق ، فنحن إذ نكتب هذه الكلمة إشادة بذكر الكتاب ومؤلفه ، ونهنئه حفظه الله تعالى على إنجاز هذا المشروع العلمي الجليل ، ندعو الله تعالى أن يوفقه لما يحب ويرضاه ، ويجعل آخرته خيراً من الأولى .

(٤) المحدث محمد يونس الجونفوري وجهوده في الحديث وعلومه

دراسة تاريخية وصفية تحليلية

هذا بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الحديث وعلومه ، قام بإعداده الباحث الأخ العزيز عبد الله تسليم النيبالي الندوي (رئيس جامعة القرآن بدولة نيبال) ، وذلك من جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم بدولة السودان ، وقد نال الباحث درجة الامتياز في المناقشة .

اشتمل البحث على بابين وعدة فصول ، فالباب الأول يتحدث عن حياة الشيخ المحدث محمد يونس الجونفوري ، فقد ذكر في هذا الباب عصر المحدث الجونفوري ونشأته وعقيدته ، ووفاته ، مع بيان شيوخه وتلامذته وأبرز صفاته ، وقد تناول الباحث في شيوخه ذكر الإمام محمد زكريا الكاندهلوي والشيخ أسعد الله الرامفوري والشيخ محمد السهارنفوري والشيخ أمير أحمد بن عبد الغني الكاندهلوي ، فهؤلاء

المشائخ الكبار اعتنوا بتعليمه وتربيته حتى فاق الشيخ المحدث محمد يونس الكاندهلوي أقرانه في الحديث وعلومه .

يتحدث الباب الثاني عن جهود الشيخ الجونفوري الحديثية ، ورحلاته العلمية ، قام المحدث الجونفوري برحلاته إلى دول الخليج ، ودول أوروبا ، كما سافر إلى عدة مدن للهند نشرًا لهذا العلم المبارك ، فقد حج أكثر من أربعين حجة ، وخلال هذه الحجّات والعمرات استفاد منه العلماء وطلبة العلم ، وكان يلقي دروسه ومحاضراته في أماكن مختلفة ، وقد سافر الشيخ الجونفوري إلى قطر ، والإمارات العربية المتحدة وأفاد أساتذة الحديث وعامة الناس ، كذلك سافر الشيخ بريطانيا على دعوة من المفتي شبير أحمد ، وهو من تلاميذه المخلصين ، فإن الشيخ دعا له بأن يقوم بتدريس صحيح البخاري ، فوفقه الله تعالى ، وتقبل دعاء الشيخ الجونفوري . اشتغل الشيخ الجونفوري طول حياته بتدريس كتب الحديث الشريف نحو مشكاة المصابيح وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه ، وصحيح مسلم ، والموطأ ، وقد درّس صحيح البخاري خمسين عاما ، في جامعة مظاهر العلوم ، وترك وراءه تعليقات وحواشي ، وهي مفيدة ونافعة ، ولها أنواع ، منها حواش مختصرة ، وملخص البحوث ، وتحقيقاته في مسألة ، ومباحث تحقيقية لها علاقة بشرح بعض الأبواب الدقيقة ، كما له تعليقات على كتب الفقه ، وطبعت باسم نواذر الفقه ، وهي في عشرة أبواب ، أما إفاداته الحديثية فهي اليواقيت الغالية في تحقيق وتخريج الأحاديث العالية ، في أربعة مجلدات ، وقد بلغت تعليقاته على مسألة إلى ثلاثين ، وهذا وأمثال هذه المواد توجد في الكتاب ، وهي تدل على جهود جبارة بذلها الباحث في إعداد هذه الرسالة العلمية .

وقد شهد بعلو الشيخ الجونفوري في علم الحديث أساتذته ومعاصروه ، وكان أحق به ، فكان مرجع المحدثين في الفترة الأخيرة ، قام الأخ الأستاذ عبد الله المكي الندوي بإعداد هذا الكتاب ، وأشاد به العلماء المعاصرون أمثال الدكتور مشعل بن حميد اللهيبي من جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن جميل بن عبد الرحمن قصاص ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، وطبع الكتاب من جمعية السنة الخيرية ، نيبال ١٤٤٦ هـ .

فنحن نهنيئ الباحث عبد الله المكي الندوي على إصدار هذه الوثيقة ، وندعو الله تعالى أن يسبغ عليه لباس القبول ، فإنه على شيء قدير وبالإجابة جدير .

(١) العالم الرباني الشيخ مصطفى الرفاعي الندوي إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

استأثرت رحمة الله تعالى بالعالم الرباني الشيخ مصطفى الرفاعي الجيلاني الندوي في مدينة بنغلور بولاية كرناتكا (الهند) ، في ٢٨ / شعبان ١٤٤٦ هـ ، المصادف ٢٧ / فبراير ٢٠٢٥ م ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ مصطفى الرفاعي الندوي من خريجي ندوة العلماء البارزين ، وقد انتخب عضواً للهيئة التنفيذية لندوة العلماء ، فكان يحضر دوراتها السنوية ، ويلقي فيها آراءه ، ويجدد عهد دراسته في ندوة العلماء من الستينيات من القرن المنصرم زمن رئاسة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، فكان من زملائه في الدراسة الشيخ القاضي محمد فاروق الندوي البهتكلي ، كما كان الشيخ الرفاعي عضواً في هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ورابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وقائماً بأعمال السكرتير بالمجلس الملي الذي أنشأه القاضي مجاهد الإسلام القاسمي رحمه الله تعالى ، فكان يقوم بجولات إدارية ودعوية ودينية وإصلاحية ، وكان ينتمي إلى الشيخ أحمد الرفاعي ، الفقيه الشافعي الرباني ، من علماء القرن السادس الهجري ، وكان يعتبر مرجعاً في التزكية والإحسان ، وإليه تنتسب الطريقة الرفاعية ، فقد ساهم الشيخ مصطفى الرفاعي الندوي في نشر هذه السلسلة الرفاعية ، واستخدمها في تربية الناس وإصلاح أخلاقهم .

وُلد الشيخ مصطفى الرفاعي في ١٢ / أغسطس ١٩٤٧م في بلدة دودوا بال فور قرب بنغلور ، بولاية كرناتكا (الهند) ، وكان والده الشيخ السيد غوث الله الرفاعي ، وقد درس مصطفى الرفاعي أولاً في مدرسة الباقيات الصالحات ١٩٦٣م ، حيث قضى ثلاث سنوات عند الشيخ صبغة الله البختياري أحد زملاء الإمام الندوي ، ثم سافر إلى لكاناؤ بمشورة من الشيخ البختياري ، حيث التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٦٥م ، ودرس فيها سنوات حتى تخرج فيها ، وكانت علاقته بالعلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي كثيراً ، كما كان يزور الشيخ عبد الباري الندوي والشيخ عبد الماجد الدرايبادي والشيخ محمد منظور النعماني والشيخ الرباني محمد أحمد البرتابكرهي والشيخ أبرار الحق الحقي ، والعلماء الآخرين ، وقد ترجم زمن إقامته في ندوة العلماء كتاب " حق اليقين " بالفارسية إلى الأردية ، وكان يسافر لأجلها إلى مدينة أناؤ ، حيث كان الصوفي عبد الرب ، وهو الذي اقترح ترجمة كتاب حق اليقين ، ومرة سافر هو والشيخ محمد فاروق البهتكلي الندوي في هذه الفترة إلى كبرى المدارس العلمية أمثال دار العلوم ديوبند ومظاهر علوم بسهارنפור في ولاية أترابرايش ، على إيعاز من الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، وقد بايع الشيخ مصطفى الرفاعي على يد الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوي ، وكان مقاله

للفضيلة حول الشيخ أحمد الرفاعي عام ١٩٧٢م ، وقد طُبِعَ هذا المقال في صورة كتاب ، كما طُبِعَت له كتب أخرى .

فنحن إذ نعزي أسرة الشيخ الرفاعي الندوي ندعو الله تعالى له بالمغفرة التامة ، وبدخوله في جنات النعيم ، وإكرام نزله ، وإلهام أهله وذويه الصبر والسلوان .

(٢) المحدث الشهير الشيخ أبو إسحاق الحويني في ذمة الله تعالى

فقدت الأوساط العلمية والدينية عالماً جليلاً ، ومحدثاً شهيراً ، وداعيةً إسلامياً الشيخ محمد يوسف أبو إسحاق الحويني في ١٧ / رمضان ١٤٤٦ هـ ، المصادف ١٨ / مارس ٢٠٢٥ م ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ أبو إسحاق من قرية حوين في منطقة كفر الشيخ بجمهورية مصر العربية ، فسمي بالحويني ، وكان ميلاده في ١٠ / يونيو عام ١٩٥٦م ، وقد سماه والده بالحجازي بعد ما حج و زار بيت الله الحرام ، نال دراسته في جامع عين شمس بالقاهرة ، وكان في بداية عمره مشغوفاً بالأدب العربي والشعر ، لكن انقطع شيئاً فشيئاً إلى علم الحديث ، وأكب على حصوله وكسب المهارة فيه ، حتى اشتهر بهذا الفن في العالم كله ، وكان من أساتذته الشيخ نجيب المطيعي ، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين ، والشيخ عبد الله بن جبرين .

ألف الشيخ أبو إسحاق كتباً ومقالات كثيرة ، منها : (١) النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة (٢) بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي (٣) صحيح القصص النبوي (٤) فتاوى أبي إسحاق الحويني (٥) نبع الأمان في ترجمة الألباني (٦) القول الرجيح في صلاة التسبيح (٧) الهدية بشرح صحيح الأحاديث القدسية (٨) العباب بتخريج قول الترمذي : وفي الباب (٩) سد الحاجة بتقريب ابن ماجه (١٠) .
توفي الشيخ الحويني في الدوحة مساء يوم الاثنين ، وصلي عليه بعد صلاة العصر ، في جامع الإمام محمد بن عبد الوهاب في الدوحة ، ودفن في مقبرة مسيمر .
تغمده الله بواسعة رحمته ، وأدخله فسيح جناته ، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

(٣) الأستاذ عبد الله الندوي الغورخفوري إلى رحمة الله تعالى

وصلنا نبأ وفاة الأخ الأستاذ عبد الله الندوي الغورخفوري مسافراً في مدينة لكاناؤ ، في ١٨ / رمضان ١٤٤٦ هـ ، المصادف ١٩ / مارس ٢٠٢٥ م ، عن عمر يناهز ٦٥ ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ عبد الله الندوي من كمهريا بمديرية مهراج غنج بولاية أتراباديش (الهند) ، درس الابتدائية في وطنه ، ثم التحق بدارالعلوم لندوة العلماء كطالب منظم ، في السنة الرابعة من الثانوية ، وواصل دراسته حتى تخرج في دارالعلوم لندوة العلماء ، وكان طالبا مجداً ، مجتهداً في الدروس ، وبعد إكمال دراسته في ندوة العلماء عام

١٩٨٧ هـ، قام بالتدريس في المدرسة الجليلية الفرعانية في جبرول، ثم عين أستاذاً في مدرسة فلاح المسلمين بأمين ناغر (تيندوا ، بمديرية رائى بريلي) عام ١٩٩٠ هـ، وكان يدرس فيها مشكاة المصابيح ومختارات من أدب العرب ، وكان طلابه يحبونه كثيراً ، ويستفيدون من دروسه ، وقد دعت دارالعلوم لندوة العلماء للتدريس في رحاب دار العلوم ، فقام بالتدريس فيها ، حوالي سنتين ، ثم بعث إلى مدرسته السابقة ، وكان منخرطاً في سلك التدريس في مدرسة فلاح المسلمين ، إذ جاءه أجله ، فلبى نداء ربه . ثم انتقل جثمانه من لكاناؤ إلى مقره بمدرسة فلاح المسلمين ، وصلى عليه الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسنى الندوي مع جمع حاشد من العلماء وعامة الناس ، ودفن في مقبرة المدرسة في جوار الأستاذ عبد الباري الندوي أول مدير مدرسة فلاح المسلمين .

ترك الراحل الكريم أسرةً من الأهل والأولاد والبنات: منهم الأخ عطاء الرحمن و الأخ سعيد الرحمن الندوي والحافظ عزيز الرحمن ، ندعو الله تعالى أن يمطر عليه شآبيب رحمته ، ويدخله فسيح جناته ، ويلهم أهله وذويه الصبر الجميل ، قال : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

(٤) والد الأخ العزيز محمد نفيس خان الندوي إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله الأستاذ محمد أنيس خان والد الأخ العزيز محمد نفيس خان الندوي في الخامس عشر من شهر رمضان ١٤٤٦ هـ ، المصادف السادس عشر من شهر مارس عام ٢٠٢٥م يوم السبت بعد صلاة المغرب ، عن عمر يناهز ٧٨ عاماً ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ محمد أنيس خان من قرية أوتيا بمديرية أميتهي بولاية أترابرايش (الهند) ، حيث كان أباه مقيم منذ زمان ، وقد تعلم الدراسة العصرية ، ثم توظف في بلدية ممبئي بولاية مهاراشترا ، وعمل فيها إلى مدة ، وبعد التقاعد رجع إلى وطنه ، وظل يربي أولاده على الإيمان والأخلاق الدينية ، فقد بعث نجليه العزيزين الأخ محمد نفيس خان الندوي والأخ محمد سليم خان الندوي إلى دار العلوم لندوة العلماء ، فتعلما العلوم الدينية ، وتخرجا فيها ، ولا يزالان يعملان حسب توجيه والدهما الكريم .

أصيب الأستاذ محمد أنيس خان بمرض ضعف الرئة ، فكان يشعر بصعوبة في التنفس ، وقد ازداد هذا المرض في آخر أيامه ، فكان يكثر من الكلمة الطيبة والاستغفار من الله تعالى ، وقد أدى حقوق جميع أهل القرابات والأرحام ، فلم يكن عليه دين ولا شئ آخر ، وكان في وظيفة رسمية ، لكن لم يأخذ روبية على سبيل الرشوة ، فظهر أثر ذلك في حياته و حياة أولاده .

صلى عليه فضيلة الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسنى الندوي رئيس ندوة العلماء ، وحضر جنازته مآت من العلماء وأهل المنطقة ، ترك وراءه ولدين الأستاذ محمد نفيس الندوي ، والأستاذ محمد سليم الندوي وثلاث بنات . غفر الله له ، وأكرم نزه ، وأغدق عليه شآبيب رحمته ورضوانه ، وألهم أهله وأولاده الصبر .

إصدارات حديثاً



الجمع الفقهي لآيات القرآن الكريم

و

ذكر أهم المباحث والمسائل من كتب
التفسير والحديث والفقه

١

الجزء الأول

في العبادات

(الطهارة والصلاة والزكاة والحج)

تأليف

الدكتور محمد يعقوب الندوي

الأستاذ بدار العلوم لندوة العلماء، لکناؤ-الهند



R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04



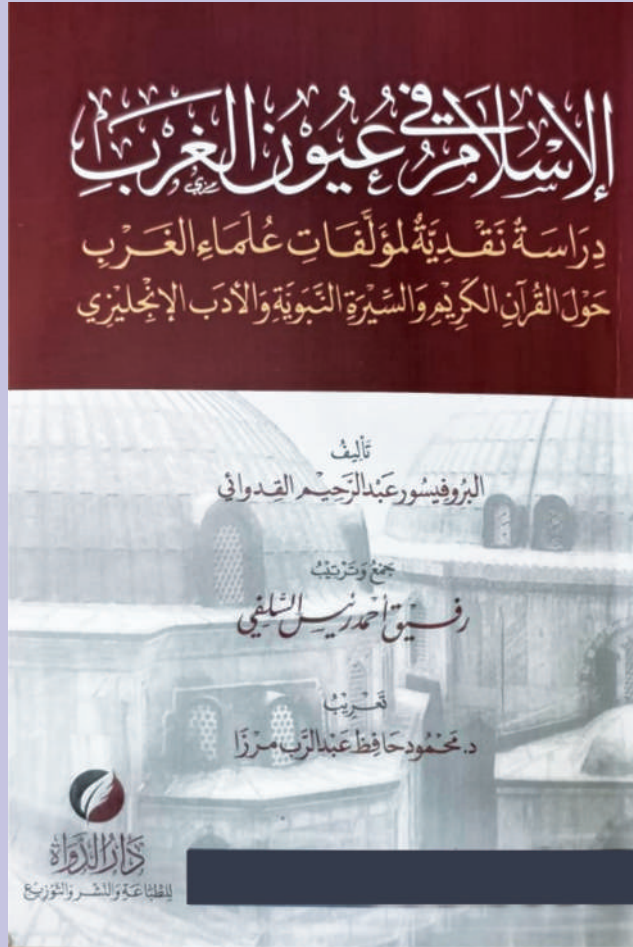
Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 71 Issue. No. 05 April 2025

إصدارات حديثة



Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI